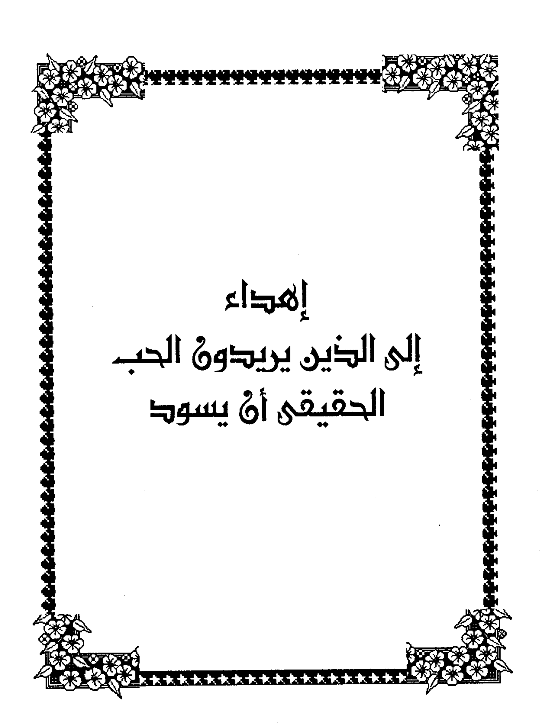


الدار الذهبية للطبع والنشر والتوزيع
القاهرة ـ تليفون ٣٥٥١٧٤٨ ـ ٣٥٤٤٧٤٨

هشام عواصه

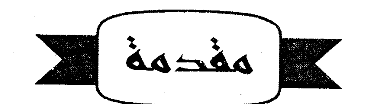


الدار الذهبية



إهداء

إلى الذين يريدون الحب الحقيقي أن يسود



مقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره .

﴿ **له الحمد فى الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون** ﴾[1] .

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد صاحب لواء « الحمد » الذى صدق الله فصدقه الله ونصره ، وأحب الله فأحبه الله وقربه .

اللهم صلِّ عليه وعلى آله وإخوانه من الأنبياء والرسل ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أمـــا بـعـــــد . .

فهذا كتاب عن « الحب » تحريت فيه عن حقيقته فى الواقع مستأنساً بكتاب الله الكريم وسنة النبى ﷺ الصحيحة ، ولم أغفل الجوانب الاجتماعية والنفسية والفلسفية والشواهد الشعرية .

وقد استخلصت هذ الحقيقة - كما بدت لى - من بين ركام هائل من الأوهام .

هذه الأوهام التى مازالت تطالعنا بها وسائل الاتصال المختلفة تحت أغلفة مختلفة .

من هذه الأوهام التى ساقوها إلينا تحت ستار « العلم » ما طالعتنا به وسائل الإعلام من خبر عن دواء جديد ينشر الحب عن طريق حبوب مستخلصة من مادة كيميائية يفرزها المخ أمكن استخلاصها وتركيبها وتسمى « دموع الحب Love tears » !!

---

(١) سورة القصص : الآية ٧٠

وقد ردّت على هـذا الوهم إحدى المتخصصات فى الطب بقولها : (قد يبتكر العلماء أقراصاً مهدئة ، منومة ، مسكنة ، أو مخدرة ، لكن أن يبتكروا أقراصاً وعقاقير للحب والسعادة فما زال هذا مستحيلاً)[1] .

وهذا الركام نتاج للمدرسة الحيوانية التى تفسر المشاعر تفسيرا معمليا ، وأنها مجرد انبثاق جسمى ، مع استبعاد القيم العليا من ضمير وعقيدة وإيمان بالحق والعدل والخير والكمال ، وكل المثل والأخلاق التى لا يمكن أن تدخل المعمل .

وفى هذه المدرسة الضالة تسلب إرادة الإنسان .

وهذه الغدة تصنع الشجاعة أو الجبن .

فهذه الغدة تصنع العصبية أو البلادة .

وهذه الغدة تصنع الذكورة أو الأنوثة .

وهكذا يخضع الإنسان مستسلماً لإفرازاته وطبيعاته وكيماوياته وكهربياته مثل الحيوان سواء بسواء ! .

* * *

وقد حاولت فى هذا الكتاب أن أشير إلى ملامح المدرسة القرآنية ، مدرسة « الواقع الصاعد » ، وهى عكس المدرسة الحيوانية ، مدرسة « الواقع الهابط » .

ووفقاً لهذه المدرسة القرآنية لا يطابق الإنسان فى حبه بين الملذ والمحبوب ، ولا بين المؤلم والمكروه .

---

(١) الدكتورة أميمة خفاجى مدرس الهندسة الوراثية : راجع مقالها بجريدة الأهرام ملحق الجمعة ٢ شعبان ١٤١٧ هـ ـ ١٣ ديسمبر ١٩٩٦ ص ١ « أسبوعيات » .

يقول الله تعالى :

﴿ ... ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله .. ﴾

[القصص : ٥٠]

وعلى هذا يكون على الإنسان فى المدرسة القرآنية أن يتخذ موقفاً انتقائياً واعياً فى الحب والكره ، فلا يحب إلا ما يوافق منهجه ومبادئه ، ولا يكره إلا ما يحارب هذا المنهج وتلك المبادئ ..

ولا تغفل المدرسة القرآنية دور المقومات الوراثية المتفاعلة مع المقومات البيئية اللتان تكونان معاً كياناً أولياً يصعد مع المنهج إلى آفاق مثله العليا حسب طاقته ..

والموقف الانتقائى للإنسان لا يخرج عن ثلاثة وجوه :

١ ـ موقف التقبل والإذعان : للخير المحض .

٢ ـ موقف الرفض والإنكار : للشر المحض .

٣ ـ موقف التفاعل الانتقائى : للجوانب الخيرة دون غيرها .

هذا التفاعل مع الجوانب المنتقاه يحيلها إلى صميم كيانه ، لا كرقع ، ولكن كجزء من نسيج شخصيته .

* * *

إن تصحيح معنى الحب وتصحيح وجهته هدف إسلامى أصيل لإحداث التغير المنشود ، فالبشرية اليوم تائهة عن الأمن والراحة .. تائهة عن فطرتها التى فطر الله عليها بعد أن انحرفت فى جاهليتها المزمنة ..

إذا أراهم والردى يجتاحهم   عبدوا اللهو وهاموا بالطرب

لقد اخترعوا عيداً للحب وآخر للأم ، فما أغنى عنهم ذلك من الله شيئاً ؛ لأن الحب والأم عيدهما فى فطرة الإنسان مستمراً استمرار الحياة.. يقول الشاعر المسلم :

الأم أكرمها الذى خلق الدنا   والآى يشهد والحديث العاطر

فى كل يوم عيدها فى ديننا   ولها الوفاء بكل يوم وافر

وصدق الإمام على حين قال : « صواب الرأى بالدول يقبل بإقبالها ويذهب بذهابها .



الفصل الأول
تعريف الحب

يقول أحد الظرفاء : (إذا ذكرت الحب فتكلم همساً) !

وهو قول لطيف يستحق أن يكون فى حسابنا ونحن نتكلم عن الحب ، فيكون كلامنا « همساً » أو « أقرب للهمس » .

ولغات الحب المعبرة عنه والمعرفة به لغات عديدة ، منها : اللغة الشعرية ، واللغة الأخلاقية ، واللغة الصوفية ، واللغة الاجتماعية ، واللغة البيولوجية . . . إلخ .

وكل هذه اللغات عجزت عن تفسير ماهية الحب ، ولم تنجح فى بيان حقيقته وكشف جوهره ، ولم تصل إلى لبابه ، وقصرت عن تقديم وصف كامل له .

باختصار : لم تستطع أى من هذه اللغات – منفردة أو مجتمعة – أن تضع للحب تعريفاً جامعاً مانعاً !

والحقيقة أنه ليس هناك تعريف محدد للحب ، ولا يوصف الحب بوصف أظهر من « الحب » .

فالحب من بديهيات النفس التى لا تحتاج إلى وصف ، وإنما يدركه كل إنسان ويتعرف عليه بحسب وعيه وحاله وثقافته ورشده .

فليس الحب كما عرفه بعضهم : (ميل النفس إلى ما تتطلع إليه) .

لأن هذا التعريف نفسه يصلح للرجاء والأمل أيضاً .

وليس هو ما عبر عنه الشاعر فى قوله :

الحب غاية آمال الحياة فما   خوفي إذا ضمني قبرى وما فرقى

لأنه وسيلة ، وإنما هو غاية ننشدها لتحقيق غايات من ورائها .

وهناك من عرفه تعريفاً أقرب إلى الوجدان لاقترانه بالمعنى الدينى حين قال :

الحب يا حبيبتى . . عباده .

يمحو من الليل . . سواده .

ويضيء للعاصى . . فؤاده .

ويحول الحزن الكئيب إلى السعادة .

الحب يا حبيبتى . . جهاد .

وأنا رغبت فى الشهادة !!

وهو أقرب التعريفات إلى جوهره .

وهذا تعريف يشبه التعريف السابق فى نظره إلى آثار الحب : (الحب ارتياح فى الخلقة ، وفرح يجول فى الروح ، وسرور ينساب فى أجزاء البدن) .

وعلى نفس النهج يأتى هذا التعريف الشعرى فى صورة سؤال وجواب :

قالت : أذقت الحب ؟ قلت :   متيم لى كل آن موعد ولقاء

قالت : أيأتى بغتة ؟ فأجبتها :   قدر علينا قائمٌ وقضاء

قالت : وما معناه ؟ قلت :   سعادةٌ وطهارةٌ ونقاء

صفوٌ وإحساسٌ رقيقٌ طيبٌ   يسمو بنا ما اشتدت الظلماء

تحلو به الأيام تخضر المنى   وبه يذوب الهم والإعياء

وهذا تعريف أقرب لمعنى الإيثار وهو : (الحب سرور بسعادة الغير) .

وهذا تعريف يتوافق مع فطرة الله التى فطر الناس عليها ، حيث يراعى عمق الخطين المتقابلين داخل النفس الحب ، والكراهية ، هذان الشعوران النابعان من الذات والمتجهان نحو الخارج ، وبالضد تتميز الأشياء .

يقول لابريير : (لن تعرف معنى الحب حتى تذوق مرارة الكراهية) .

وهذا الغل وهذه الكراهية يوجهان إلى قوى الشر فى الأرض من شياطين الإنس والجن ، حتى إذا دخلت زمر المؤمنين الجنة نزع الله من صدورها الغل .

يقول الله تعالى : ﴿ **ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين** . . . ﴾ [سورة الحجر : الآية ٤٧]

ويقابل هذا « الحب » .

يقول سبحانه : ﴿ **وإنه لحب الخير لشديد** ﴾ [سورة العاديات : الآية ٨]

فجوهر الحب – وفقاً لهذا التعريف – هو : (نزوع إلى الخير والجمال والكمال) .

وبعبارة أدق : (هو شوق النفس إلى الجمال الإلهى) .

وهو ما يترجمه الدين والإيمان فى صورة عبادات تمثل عمليات تزكية وعلو نحو الحق سبحانه وتعالى ، وهو الذى يجعل الحب ممارسة مستمرة وشعور دائم .

وللحب عدة مستويات يمكن أن نتعرف عليه أكثر من خلالها :

المستوى الاجتماعى : ويعرف بأنه الوجدان الإيجابى ، أو المشاركة الوجدانية ، أو التعاطف والقرب النفسى والرغبة فى دوام الصلة ، ويتضمن التعبير عن الاهتمام الوجدانى والدفء والارتياح .

المستوى القلبى(*) : يعرف بأنه تعلق القلب بين الهمة فى طلب المحبوب والأنس به ، ويضيف آخرون بأنه ميل القلب ناحية المحبوب .

المستوى النفسى : هو التجاذب النفسى بين الحبيب والمحبوب ، وهو يمثل ظاهرة المغناطيسية ويخضع لقانون الجاذبية النفسية ! حيث تهتز « نفس » تجاه « نفس » اهتزازة الحب ، ثم تتجه نحوها فى قوة متزايدة حتى تلتصق بها ولا تريد أن تفارقها .

وهناك مكونات ثلاث تستثير مشاعر الحب والتقارب هى :

١ ـ مكون معرفى : يستوعب المعتقدات والمعلومات عن موضوع الاتجاه .

والغالب أن الإنسان يحب ما يتمنى ، فإذا كانت معلوماته عن الحبيب موافقة للصورة المتكاملة التى وضعها فى مخيلته كتب لهذا الحب الدوام ، أما إذا لم تتطابق يحدث له خيبة الأمل .

٢ ـ مكون وجدانى : يتعلق بمشاعر التقبل والتعارف والائتلاف .

وهذا المكون لا ينفصل عن المكون المعرفى .

٣ ـ مكون سلوكى : من خلال الميل إلى الاقتراب من موضوع الاتجاه .

ويدخل فى هذه المكونات عوامل التجاذب : الجمال ، والوسامة ، والجلال ، والنظافة ، لين الجانب ، حسن الخلق . . . إلخ .

مع الأخذ فى الاعتبار أن هذه مجرد مثيرات للحب ودواع له ، لأن الحب يستلزم شعوراً ممتداً عبر تاريخ طويل ، أو على الأقل ليس بالقصير .

ولا يخضع الحب ـ مثله مثل كل المشاعر الإنسانية ـ إلى حسابات

(*) القلب له الدور الرئيسى فى المستويات الثلاث ، وما المستوى الاجتماعى والمستوى النفسى إلا تعبير عن ما فى القلب .

هندسية ، ومنطق فلسفى عقلى ، فقد يقع الحب دون منطق أو عقل :

لهـوى النفوس سريرة لا تعلم   عرضا نظرت وخلت أنى أسلم

وليس معنى هذا أن هناك فعل وجدانى مجرد تماما من الفهم ، أو أنه يوجد فعل عقلى غير متأثر بالعاطفة . . . كلا !! . . فتأثير أحدهما فى الآخر حتمى ، لأن كلاهما من عمل القلب .

ومن هنا جاء توجيه الإمام حسن البنا رحمه الله : (أيها الإخوان، ألجموا نزوات العواطف بنظرات العقول ، وأضيئوا نظرات العقول بلهب العواطف) . .

ومما يحكى فى هذا المقام تلك المناظرة الطريفة التى عقدها العلامة الشاعر محمد إقبال بين العقل والعاطفة ، أو بين الفكر والإحساس ، أو بين العلم والحب:

قال لى العلم غرورا :   إنما الحب جنون
قال لى الحب مجيبا :   إنما العلم ظنين
لا تكن سوس كتاب   يا أسيراً للظنون
فمن الحب شهود   ومن العلم حجاب
من لهيب الحب ثارت   ثورة فى الكائنات
وشهود الذات للحـ   ـب ، وللعلم الصفات
ومن الحب ثبات   وحياة وممات
علْمُنَا سُؤْل جَلِيٌّ   حبنا خافى الجواب
مُعجزات الحب مُلْكٌ   زانه فقر ودين
وعبيد الحب أدناهم   له عرش مكين
ومن الحب زمان   ومكان ومكين
إنما الحب يقين   وبه يفتح باب

إلفـــه المُنْزَل فى شـــرع   مـن الحب حــــــــرام
خطر البـحــر حــلال   راحـــة الســـرب حـــرام
خـفـقـة البـرق حـلال   وفـــــرة الحب حـــــرام

والحق أن كل ما عرضناه فى تعريف الحب هو محاولة لصب البحر فى إناء !! ، فالعقل والعاطفة يتأثران بظروف التنشئة والبيئة وسمات الشخصية :

إن الحـــياة ســـعير حرب مرة   بين الهدى وشرائع الأجلاف

وما سقناه من تعريفات يكمل كل منها الآخر ويعضده ويؤكده .

فالحب شعور أو إحساس لا يمكن وصفه ، وإلا نصف لى وجل القلب أو إخباته !!

وهل هناك وصف لأريج الزهور ؟! وهل هناك تعـريف لنكهـة الفاكهة أو لروح النعناع ؟!

وكما قال رسول الله ﷺ : « ليس المخبر كالمعاين » .

فهناك فرق بين الذوق والوجود .

وهناك فرق بين التصور والعلم .

لا يعرف الشوق إلا من يكابده   ولا الصــبابة إلا من يعـانيها

وهو ما دعا الكثيرين إلى جعله سرا من الأسرار :

قلت للأصحـــاب فى ذات مسـاء
ما هو الحب ؟ وهل منه وقـــاء ؟
قال لى الأصحاب : سل فيما تشاء
ما عـــدا الحب فهـــذا سر السماء

وهو نفس ما وصل إليه الكاتب المسرحى توفيق الحكيم حين سئل

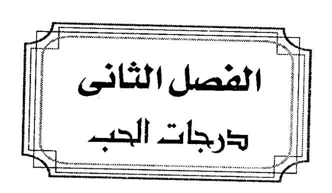
فى مرض موته عن الحب فأجاب : (الحب مسـألة رياضية مثـل جوهر الوجـود ، لابد أن يكون فيه ذلك الذى يسمونه « المجـهول » أو « المطلق ») .

الحـب سر لدى الرحمن منبـعه
لا الجن تعرف ما يطوى ولا البشر

الحب من قبس الخـلاق جذوته
هو اليقـين وكم لاحت به عبر

الحب نور يظـل الظـلم يرهبـه
وما سوى الحب قهـار ومنتصر ؟!





الفصل الثانى
درجات الحب

الحب درجات ، والكراهية درجات .

ودرجات الكراهية تبدأ بالنفور ثم الشنآن فالبغض فالاشمئزاز ثم المقت .

أما الحب فقد توصلت ـ بعد التحقيق ـ إلى انقسامه إلى عشر درجات هى على الترتيب التصاعدى :

١ ـ العلاقة : لتعلق القلب بالمحبوب .

٢ ـ الطلب أو الإدارة ـ لميل القلب إلى محبوبه وطلبه له .

٣ ـ الصبابة : لانصباب القلب إليه بالكلية بحيث لا يملكه صاحبه ، كانصباب الماء فى الحدور .

٤ ـ الغرام : للزومه للقلب فلا يفارقه ، كما يلازم الغريم ـ الدائن ـ غريمه .

٥ ـ الود : وهى صفو المحبة وخالصها ولبها ، ومنه اسم الله تعالى « الودود » .

٦ ـ الشغف : وهى وصول الحب إلى شغاف القلب ، وهو الجزء الحساس فيه (الجلد الرقيق) .

٧ ـ الشوق : وهى سفر القلب إلى المحبوب ، واهتياجه إلى لقائه مع قربه منه !!

٨ ـ التتيم : وهى التذلل للمحبوب وبداية التعبد .

٩ ـ التعبد : وهى مرتبة فوق التتيم ، فإن العبد هو من ملك المحبوب رقه فلم يبق له شىء من نفسه .

١٠ ـ الخُلَّة : وهى كمال المحبة ، ومنتهى الحب ، وهذه الدرجة يكون فيها الحب قد تخلل روح المحب وقلبه حتى لم يبق فيه موضع لغير المحبوب .

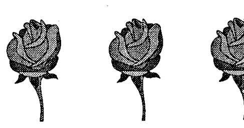
وهى درجة لا تحتمل الشركة بل تكون لواحد فقط ، وهى لا تصح فى الإسلام إلا مع الله تعالى .

خلاصة :

فالحب درجات لا أنواع فيه ، فهو شعور ينبت فى القلب لا يختلف من حيث النوع ولكن يختلف من حيث الشدة ، فلا تتعدد جوانبه وألوانه ، وإنما تتفاوت درجاته وشدته .

فليس هناك حب بشرى وآخر إلهى ، وليس هناك حب للمرأة وآخر للصديق ، وليس هناك حب للطبيعة وآخر للأولاد ، أو حب للمال وآخر للمنصب .

إنما الحب شعور واحد يشتد ويضعف حسب توجه صاحبه .



الفصل الثالث
الحب والجمال

الجمال بمختلف أنواعه من أقوى الأسباب الجالبة للحب .

ولهذا قيل : (للحب حبيب واحد يشتهيه ، ويرغب فيه ، ويطلبه حثيثاً . . وحبيب الحب هو : الجمال) .

والإحساس بالجمال جزء من خلقة الإنسان وفطرته التى فطره الله عليها .

وقد وضع العلماء التذوق الجمالى فى الدرجة السابعة من الحاجات الأساسية الغريزية للإنسان ، وعدم إشباع هذه الحاجة يؤدى إلى نقص فى النمو العقلى والإدراكى والوجدانى .

وعدم الإحساس بالجمال والتأثر به يعنى عدم اكتمال النضج الانفعالى لوجود مرض فى القلب يجعله عاجزا عن الاستمتاع بجمال مخلوقات الله وبديع صنعه فى الكون .

فالجمال يكون فى النظرة أكثر منه فى المنظور ، ويكون فى المتذوِّق أكثر منه فى المتذوَّق .

وكما يقول الأديب أندريه جيد : (ينبغى أن تكون العظمة فى نظرتك لا فيما تراه) .

وهو ما صوره الشاعر العربى فى قوله :

وما الحب من حسن ولا من ملاحة ولكـــنه شيء به الروح تكلف

ومعنى هذا أن التذوق الجمالى ينشأ ـ أول ما ينشأ ـ داخل النفس، فإذا لم تجد النفس هذا الجمال فى داخلها فلن تجده فيما حولها .

ومن هذا نفهم قول الشاعر :

كن جميلاً . . ترى الوجود جميلاً .

فالقلب السليم هو مكتشف للجمال لا منشئ له ، ويتذوقه ويستمتع به ولا يصنعه ، والجميل الحق يدل على ذاته .. وكما قال أحد الفلاسفة فى تعريف الجمال : (هو أصوات الصمت المعبرة) !!

ومن هذا المنطلق يرد أحدهم على قول القائل : أيها الجمال ، إنك لا توجد إذا أغمضت عينى ولم أنظر إليك .

بقوله : بل يوجد الجمال ، حتى إذا أغمضت عينك ، لأن الله لا يغمض عينه .

وعلى هذا فكل مخلوقات الله تحتوى على الجمال الذى يتعدد بتعددها ، ويتنوع بتنوعها ، الأمر الذى أدركه الإغريق القدماء فقالوا : (الجمال مملكة لا حدود لها) .

فجمال الحياة لا ينفذ ، وإذا كان قد غُطِّى أو سُتر بحجاب من ظلم أو انحراف أو فساد فإنه سوف يشع ببهاء من المحبة أصيل يوم يزول هذا الحجاب ، فإن القلوب سوف تحب هذا الكون كله ، وسوف تحب خالق هذا الكون حباً شديداً ، أشد من حبها لجميع مخلوقاته التى تستمد جمالها منه سبحانه .

الجمال الظاهر والجمال الباطن :

الجمال الظاهر هو الجمال الحسى الذى يلتذ البصر بمنظره الحسن ، ويلتذ السمع بصوته العذب ، ويلتذ الأنف بشم رائحته الطيبة ، ويلتذ اللسان بطعومه الهنيئة ، ويتنعم الجلد بملمسه الناعم الجميل .

وعلى حسب نوع الجمال يكون باعث الحب .

والجمال الحسى هو « الزينة » التى هى عنوان الجمال المعنوى الباطن .

فالجمال المعنوى الباطن هو أصل الجمال الحسى المقترن به ، وهو جمال يفوق فى أهميته وضرورته الجمال الحسى الظاهر ، لأن الصور المعنوية هى الأرسخ والأبقى أثراً فى الوجدان حتى بعد فناء الجمال الحسى .

وفى مقارنة بين الجمال الحسى الظاهر والجمال المعنوى الباطن يقول العلامة ابن قيم الجوزية : (**اعلم أن الجمال ينقسم إلى قسمين ظاهر وباطن . . فالجمال الباطن هو المحبوب لذاته ، وهو جمال العلم والعقل والجود والعفة والشجاعة ، وهذا الجمال الباطن هو محل نظر الله من عبده ، وموضع محبته ، كما جاء فى الحديث : « إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم »[1] ، وهذا الجمال الباطن يزين الصورة الظاهرة وإن لم تكن ذات جمال، فيكسو صاحبها من الجمال والمهابة والحلاوة بحسب ما اكتسبت روحه من تلك الصفات ، والجمال الظاهر نعمة من الله على عبده ، فإن شكره بتقواه إزداد جمالاً على جماله ، وإن استعمل جماله فى معاصيه سبحانه قلبه له شيئاً ظاهراً فى الدنيا قبل الآخرة ، فتعود تلك المحاسن وحشة وقبحاً وشيناً ، وينفر عنه كل من رآه .**

فحسن الباطن يعلو قبح الظاهر ويستره ، وقبح الباطن يعلو جمال الظاهر ويستره) .

---

(١) رواه مسلم .

وتأتى أولوية جمال الباطن من كون الله تعالى قد فطر الناس على استحسان الصدق والعدل ، والعفة والإحسان ، ومقابلة النعم بالشكر ، وغيرها من الأخلاق الحسنة ، والمعانى الرفيعة ، وكذلك فطرهم سبحانه على استقباح أضدادها .

ولهذا كان ﷺ يحرص كلما نظر فى المرآة ، وكان جميل الصورة ، أن يدعو قائلاً : « اللهم أنت حسَّنت خلْقى فحسِّن خُلُقى وحرم وجهى على النار . . . »[1] .

فالاهتمام بالمظهر لا يغنى عن الاهتمام بالمخبر ، والجمال الباطن الذى يتمثل فى طهارة القلب وتنقية السريرة وتزكية النفس وحسن الخلق هو فى الإسلام الجوهر والمحك .

يقـــول رســـول الله ﷺ : « أكـمـل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقاً . . . »[2] .

وكما قال الشاعر :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه

فكل رداء يرتديه جميل

* * *

ومن أطرف الوقائع فى الحب الإنسانى للجمال المعنوى المجرد ما حدث لأديب فرنسا الكبير « بلزاك » مع إحدى قارئاته ، وهى البارونة هانسكا ، فقد تعرف عليها عن طريق رسائلها التى كانت تناقشه أفكاره فيها ، وعن طريق جمال خطها ، وجمال أسلوبها ، وجمال أفكارها ومثالياتها أحبها حبا شديداً ! حتى أنه نشأ بينهما اتصال روحى عميق ..

(١) رواه ابن حبان والطبرانى .

(٢) رواه الطبرانى .

ثم تزوجها بعد ذلك ، وكان يردد فى حفل الزواج : (إنى مجنون من فرط السعادة) ! وذلك لأنها جمعت إلى جانب جمالها المعنوى جمالاً حسياً ظاهرياً رائعاً !!

الشيطان والجمال المعنوى الباطن :

التذوق الجمالى الداعى إلى الحب يعنى النضج النفسى أو بتعبير أصح سلامة القلب ، ولقدرة الجمال بنوعيه الجاذبة للقلوب والمؤثرة فيها ، يقوم الشيطان ـ عدو بنى آدم المبين ـ بتزيين القبائح بكل صورها والتى نهى عنها الله سبحانه ، يزينها بجمال حسى ظاهرى لتكون سبباً فى الغواية .

يقول الله تعالى : ﴿ **قال رب بما أغويتنى لأزين لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين** ﴾ [الحجر : ٣٩ ـ ٤٠] .

وتقوم عملية التجميل الشيطانية ـ أساساً ـ على الخداع ، ويقوم الخداع على الإغواء ، ويقوم الإغواء على اتباع الهوى .

وصور التزيين من الشيطان لا حصر لها ، ولكنها تشترك فى افتقادها لمبررات عقلية ، أو براهين صحيحة ، أو وعى ، أو بديهة .

إن الشيطان يغير موازين الجمال الإلهية ، فيصور القبيح جميلا ، والجميل قبيحاً ، ولكنه لا يستطيع أن يزين إلا ظاهر الأشياء ، أما باطنها فيظل قبيحاً كما هو :

على وجه « مى » مسحة من ملاحة
وتحت الثياب الخزى لو كان باديا

ألم تر أن الماء يكدر طعمه
وإن كان لون الماء أبيض صافيا

الذى خلق فَسَوَّى[1] :

الله سبحانه هو الجميل المطلق ، الجميل فى ذاته وبذاته ، الجميل الكامل والمتعالى ، هو الجميل جمال خالد غير حادثٍ ولا فانٍ.

ومنه سبحانه يستمد كل جميل جماله ، لأنه هو المبدأ والنهاية ، وبتعبير القرآن الكريم :

﴿ **هو الأول والآخر والظاهر والباطن** ﴾ [2] .

فكما تعتمد الأخلاق على الفعل ، والمنطق على العلم ، فإن الجمال يعتمد على الخالق المبدع الجميل .

وقد لفت القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة إلى مظاهر الجمال بكل أنواعه فى كل شيء ، وحثنا على التأثر معه ، والانفعال به وتذوقه ، بل وعلى التجمل فى إطار هذا التزخرف والتزين المنتشر والمتقن حتى ينسجم الإنسان مع ما حوله من إبداع .

ففى إطار لفت الأنظار يقول الله تعالى :

﴿ **ولقد جعلنا فى السماء بروجاً وزيناها للناظرين** ﴾[3] .

﴿ **إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب** ﴾[4] .

﴿ **وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا** ﴾[5] .

﴿ **أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت * وإلى السماء كيف رفعت * وإلى الجبال كيف نصبت * وإلى الأرض كيف سطحت** ﴾[6] .

---

(١) سورة الأعلى : الآية ٢

(٢) سورة الحديد : الآية ٣

(٣) سورة الحجر : الآية ١٦

(٤) سورة الصافات : الآية ٦

(٥) سورة فصلت : الآية ١٢

(٦) سورة الغاشية : الآيات ١٧ ـ ٢٠

ونلاحظ فيما أوردناه من الآيات أن الأمر ليس مجرد جمال ظاهرى حسى خاص بالنظر فقط ، وإنما يسبقه ويقترن به دور هام ووظيفة يقوم بها ، فهو مخلوق ضرورى وفى نفس الوقت جميل(*) ! ، أى أنه يجمع بين الجمال الحسى الظاهر والجمال المعنوى الباطن .

ويتضح هذا المعنى كأوضح ما يكون فى قوله سبحانه :

﴿ والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون * ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون * وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم ﴾[1] .

وفى قوله : **﴿ ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ﴾** ما يقترب من أحد تعريفات الجمال من أنه : (شعور اللذة الإيجابى المولد للحب المصاحب لانبساط العضلات والأعصاب) .

وفى نفس السياق يلفت القرآن الكريم أنظارنا إلى جمال الألوان والظلال فى قوله تعالى :

﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك . . . ﴾[2] .

وقال عن ما يخرج من بطون النحل :

﴿ . . . يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه ... ﴾[3] .

(*) من المعروف أن للجمال قيمة مادية تضاف للشىء ، وهو ما يعلم المسلمين كيف يخرجون منتجاً نافعاً وجميلاً للمنافسة به .

(١) سورة النحل : الآيات ٥ ـ ٧ (٢) سورة فاطر : الآيتان ٢٧ ـ ٢٨

(٣) سورة النحل : الآية ٦٩

وذكر فى سياق الفضل :

﴿ **وماذرأ لكم فى الأرض مختلفا ألوانه إن فى ذلك لآية لقوم يذكرون** ﴾[1]

وعرض هذه اللوحة الحية الخضراء النضرة فى كلمات معدودات :

﴿ **ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فتصبح الأرض مخضرة ...** ﴾[2]

هذا عن جمال الألوان ، أما عن حركة الظل ، والضوء ، وما ينتج عنهما من جمال يتشكل كأروع ما يكون فى كل شىء ، فيقول سبحانه :

﴿ **أولم يروا إلى ما خلق الله من شىء يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله وهم داخرون** ﴾[3] .

وإلى نفس المنظر يلفت سبحانه الأبصار ، ولكن إلى أصل الأشياء ظلالها فى قوله :

﴿ **ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو والآصال** ﴾[4]

والظل فى الآيات السابقة جمال وحسن ، أما فى قوله تعالى :

﴿ **والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا ...** ﴾[5] .

فتأتى فى سياق الإنعام والمن والتفضل ، حيث يجتمع الجمال الشكلى الظاهر والجمال المعنوى الباطن .

---

(١) سورة النحل : الآية ١٣
(٢) سورة الحج : الآية ٦٣
(٣) سورة النحل : الآية ٤٨
(٤) سورة الرعد : الآية ١٥
(٥) سورة النحل : الآية ٨١

ويجتمع جمال الظل بنوعيه فى هذه الآيات الكريمة التى توبخ فى صدرها هؤلاء العاجزين عن تذوق هذا الجمال أو الإحساس به عند رؤيتهم لحركة الضوء والظل بسرعاته المختلفة .

يقول تعالى :

﴿ أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً * ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً * ثم قبضناه إلينا قبضا يسيراً ﴾[1] .

وفى سياق آخر يلفت القرآن الكريم أنظارنا إلى لون لطيف آخر من الجمال هو « النظام والتناسق والتتابع » .

يقول سبحانه :

﴿ أو لم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن إنه بكل شىء بصير ﴾[2] .

﴿ ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات والأرض والطير صافات ... ﴾[3] .

هذا فى وصف حركة أسراب الطير فى السماء فى صفوف منتظمة .

وها هو ﷺ يعلم المسلمين كيف يقفون صفوفا لا خلل فيها ولا عوج قائلا لهم :

---

(١) سورة الفرقان : الآيات ٤٤ ـ ٤٦ ، وهذا التصوير الحى هو ما يستخدم الآن بتوسع فى عالم الديكور فى المسارح والفنادق الكبيرة والقصور والشقق الفاخرة باستخدام أساليب الإضاءة الحديثة .

(٢) سورة الملك : الآية ١٩ (٣) سورة النور : الآية ٤١



« إن الله لا ينظر إلى الصف الأعوج »

وينطبق هذا فى الصلاة كما ينطبق أيضا فى القتال ، يقول تعالى :

﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص ﴾[1] .

وكذلك يلفت القرآن الكريم النظر إلى انتظام حركة الليل والنهار وتتابعهما ، وتداخلهما .

يقول سبحانه :

﴿ ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل ... ﴾[2] .

وعلى مستوى أعلى يتحدث عن السموات (الأفلاك والمجرات) بعد بيان خلق الضدين الموت والحياة ، يقول عز وجل :

﴿ تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شيء قدير * الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور * الذى خلق سبع سماوات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور * ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير ﴾[3] .

والحديث عن جمال النظام والتتابع والإحكام فى بديع خلق الله أمر لا يمكن حصره ولا مجال لإحصائه ، لأنه ليس فى قدرة بشر أصلاً !!

ويرتبط بالنظام لون آخر من ألوان الجمال لا يتم إلا به ألا وهو

---

(١) سورة الصف : الآية ٤
(٢) سورة لقمان : الآية ٢٩
(٣) سورة الملك : الآيات ١ ـ ٤

النظافة ، وبلغه القرآن « الطهارة » ، وفى إطار مراعاة الإسلام لإبراز نوعى الجمال حث على طهارة البدن والثياب وجعلها شرطا لابد منه لصحة الصلاة ، وأوجب الاغتسال فى أحوال كثيرة سواء كانت ملابسة للبدن، أو أثناء الاجتماعات داخل المسجد .

يقول تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا . . . ﴾[1] .

ويقول رسول الله ﷺ : « النظافة تدعو إلى الإيمان ، والإيمان مع صاحبه فى الجنة »[2] .

والنظافة والرائحة الطيبة قرناء جميعاً ، لأن للرائحة الطيبة جانبان :

الأول : تجنب الروائح الكريهة والنفاذة ذات الآثار السيئة الناتجة عن تراكم الأوساخ والفضلات ، أو الناتجة عن بعض أنواع الأطعمة كالسمك والثوم والبصل .

وقد حث رسول الله ﷺ على هذا النوع من النظافة ، فكان يخلل بين أصابعه وثنايا جسده فى الوضوء والغسل ، وكان يقول : « تسوكوا فإن السواك مطهرة للفم مرضاة للرب ، ما جاءنى جبريل إلا أوصانى بالسواك ، حتى خشيت أن يفرض علىّ وعلى أمتى »[3] .

وقد منع دخول المسجد وحضور المجتمعات كل من أكل طعاماً يجعل رائحته مستكرهة ، لأن نتن الأفواه يؤذى المخاطبين وينفر من آكلها ، فضلاً عن رائحة الأجساد والثياب .

(١) سورة المائدة : الآية ٦ (٢) رواه الطبرانى . (٣) رواه ابن ماجه .

الثانى : التطيب بأنواع العطور المستحسنة والمؤدية إلى المحبة القلبية ، حيث أن حاسة الشم عن طريق الأنف شديدة التأثير فى القلب سلباً وإيجاباً .

وفى حديثنا على مستوى الناس ، نجد الارتباط بين النظام والنظافة « الطهارة » وجمال الملبس وحسن السمت وكرم الهيئة واضحاً .

ولا يظن أحد أن تجميل الظاهر وتزيينه لون من ألوان الكبر ، كما ظن ذلك أحد الصحابة حين سمع رسول الله ﷺ وهو يقول : « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر » فقال الصحابى : (إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً) فقال رسول الله ﷺ : « إن الله جميل يحب الجمال »[١] .

وكان ﷺ يكره أن يرى أحد أتباعه بمظهر زرى ، وكان يقول : « إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده حسناً »[٢] .

ولما رأى رجلاً ثائر الرأس واللحية ، أشار إليه كأنه يأمره بإصلاح شعره ، ففعل الرجل ثم رجع فقال ﷺ : « أليس هذا خيراً من أن يأتى أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان »[٣] .

وكان يقول : « من كان له شعر فليكرمه »[٤] .

ورأى ﷺ مرة أجيراً لجابر بن عبد الله رضى الله عنه وعليه بردان قد أخلقا ، فقال : « أماله غير هذين ؟ » فقال جابر : (بلى ، له ثوبان فى العيبة كسوته إياها) فقال : ادعه يلبسهما فلبسهما . . فلما ولى قال رسول الله ﷺ : « ما له ؟!ـ ضرب الله عنقه ـ أليس هذا خيراً ؟! »

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه الترمذى .
(٣) رواه مالك .
(٤) رواه أبو داود .

فسمعه الرجل فقال : فى سبيل الله يا رسول الله !! فقال ﷺ : « فى سبيل الله » فقتل الرجل فى سبيل الله[1] .

وكان ﷺ يقول لأصحابه وقد أشعثهم السفر : « إنكم قادمون على إخوانكم ، فأصلحوا رحالكم ، وأصلحوا لباسكم حتى تكونوا كأنكم شامة فى الناس ، فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش »[2] .

وليس هناك أبلغ من الأمر بالتزين للعبادة .

يقول الله تعالى :

﴿ **يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد** ... ﴾[3] .

وكذلك فى العلاقة الزوجية بين الرجل والمرأة فى إطار قوله تعالى :

﴿ .. **ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف** ... ﴾[4] .

يأتى التجمل والتزين من كل طرف كى يتحبب إلى الطرف الآخر، ولهذا كان عبد الله بن عباس رضى الله عنه يقول : « إنى أحب أن أتزين للمرأة كما أحب أن تتزين لى » .

وهو ما يقرره الشاعر فى قوله :

يا حبيبتى أنت من علمنى بجميل

الخلق أن أهوى هواك

ولا شك أن ألوان الجمال السابقة لا تكتمل ولا تتم إلا بجمال الصوت ، فليس يخفى ما للصوت من تأثير على القلوب .

فحين نسمع تلاوة القرآن الكريم ، أو نسمع غناءً ، أو إلقاءً . . من صوت جميل يكون تأثرنا أشد ما لو سمعنا نفس المقاطع من صوت آخر .

---

(١) رواه مالك .
(٢) رواه أبو داود .
(٣) سورة الأعراف : الآية ٣١
(٤) سورة البقرة : الآية ٢٢٨

لهذا كان رسول الله ﷺ يقول : « زينوا القرآن بأصواتكم »[1] .

وكان ﷺ يقدم بلالاً على غيره من الصحابة للأذان لأنه أندى صوتاً .

والأصوات المنخفضة تكون أرق وأعذب وأحب من الأصوات العالية والصاخبة .

يقول الله تعالى :

﴿ واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾[2] .

يدعو الإسلام أيضا إلى جمال الأسماء ، فهى من أنواع الجمال الموجبة للمحبة ، والاسم الحسن مكمل للشكل الحسن ومكمل للصوت الحسن .

يقول رسول الله ﷺ : « إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم فأحسنوا أسماءكم »[3] .

وذلك لأن الاسم هو مدلول اللفظ لا اللفظ ، وقد ذكرنا أن الاسم لفظ مشترك بين التسمية والمسمى المقصود بحسن القرائن ، ويفسره قول شكسبير فى إحدى مسرحياته : (إن اسم الرجل أو المرأة الحسن هو جوهرة روحيهما) .

وكم من أسماء قبيحة سببت لأصحابها مشاكل لا حصر لها ، فضلاً عما تسببه لهم من عقد ، لكونها أقرب إلى السب والهجاء أكثر منها للنداء والتعريف ، لهذا غير رسول الله ﷺ أسماء رجال ونساء كانت قبيحة بأخرى حسنة .

(١) رواه البخارى .
(٢) سورة لقمان : الآية ١٩
(٣) رواه مسلم .

وليس معنى هذا أن الأسماء لا تكون على غير مسمى ، فأحيانا لا تسمى الأشياء بمسمياتها وقد يظلم جميل فيسمى إسماً غير جميل ، وفى هذا المعنى هناك قول لشكسبير يقول فيه : (ماذا فى الاسم ؟! إن الوردة تفوح عطراً ولو سميت بغير ذلك من الأسماء) .

ولقدرة الأسماء الجميلة على تزيين أصحابها ، فإن شياطين الإنس والجن لا تتورع عن استخدامها فى إطار « الغىّ » أو « الإغواء » مثل تسمية الدين « تطرف » ! والعدل « جمود » والحرية « فوضى » وفرق الترفيه والإضحاك : نجوماً ، وكواكباً ، وزعماءاً ، وتلقيبهم بـ « القدير » و « الكبير » و « العظيم » !!! إلخ .

يســمى القبح بألفاظ منمقة　　　ويخدع الناس ألقاب وأسماء

ويمكن أن يحدث العكس بمعنى أن يكون الجميل ـ شخصاً كان أم شيئاً ـ عندما يصير محبوباً يُحَبُّ اسمه تبعاً لمحبته ، فيكون هو سبباً لمحبة اسمه ، بل وكل اسم شبيه به !!

يقول الشاعر :

أحب من الأسماء ما وافق اسمها

وأشـــبهه أو كان منه مـدانياً !!

الجمال فى الآخرة :

لا شك أن جمال الغيب لا يقل عن جمال الشهادة ، بل قد يفوقه بآماد بعيدة .

يقول الله تعالى :

﴿ ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم * الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ﴾[1] .

(١) سورة السجدة : الآيتان ٦ ـ ٧

وفى تصوير للآخرة ، وبتعبير أدق للجنة ، لا يجد رسول الله ﷺ من الكلمات ما يعبر به فيقول :

« من يدخل الجنة ينعم! ، لا ييأس ! ، لا تبلى ثيابه !، ولا يفنى! ، فى الجنة ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر»[1] .

إنها زاوية صغيرة فى عالم الغيب ، فيها من الجمال ما لم تره العيون ، وما لم تسمعه الآذان ، وما لم تتصوره القلوب أو تحلم به !!

يقول الله تعالى واصفاً بعض أنواع الجمال فى الجنة :

﴿ يُحَلَّون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير ﴾[2] .

﴿ فيهن خيرات حسانٌ ﴾[3] .

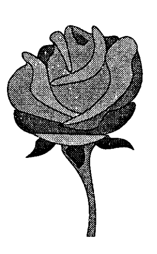
﴿ . . . كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون ﴾[4] .

﴿ .. والله عنده حسن الثواب ﴾[5] .

ويقول رسول الله ﷺ فى صفة أهل الجنة : « يدخل أهل الجنة جرداً مرداً[6] كأنهم مكحلون أبناء ثلاث وثلاثين »[7] .

(١) رواه مسلم .
(٢) سورة فاطر : الآية ٣٣
(٣) سورة الرحمن : الآية ٧٠
(٤) سورة البقرة : الآية ٢٥
(٥) سورة آل عمران : الآية ١٩٥
(٦) جرداً مرداً : بدون شعر ولا لحية .
(٧) رواه الترمذى .

ويقـول ﷺ في جـمـال أول زمـرة يدخلون الجنة : « إن أول زمـرة يدخلون الجنة على صورة القـمـر ليلة البدر ، والذين يلونهم على صـورة أشـد كـوكـب درى فى السـمـاء إضـاءة ، لا يبـولون ولا يتـغـوطون ولا يتـمـخطون ولا يتفلون ، أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة ، أزواجهم الحور العين ، أخلاقهم على خلق رجل واحد ، على صورة أبيهم إبراهيم ستون ذراعاً في السماء »[1] .



(١) متفق عليه .

الفصل الرابع
أوهام الحب

الحب الحقيقى كالوردة الحقيقية ، ذات حياة وأريج ونضارة ورونق .

أما الحب الزائف فهو حب متوهم كالسراب يراه من بعيد ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً .

إنه يسحر الأعين كَسَحَرَة فرعون الذين ألقوا حبالهم وعصيهم ، فتصورتها الأعين تتلوى كالحيات .

إيه عصـــا موسى القفى هــــذى الأ

فاعى واصهرى يا شمس غش المدعى

أين الرقى منـــفـــوثة معـــقـــودة

ســحرت مآقينا بمـــكرٍ خـــادع

إن الحب الزائف قـد يخـدعنا بعض الوقت ، ولكننا لا نلبث أن نكتشف حقيقة هذا الوهم الكاذب .

ونحن لا نرصد هنا صور الحب الزائف ، فهى أكثر من أى حصر ، حيث تتكون وتختلف باختلاف أطرافه .

إن الحب الزائف حالة من البلبة العاطفية الناتجة عن بلبلة فكرية وتجهيل وتضليل

ضنى فى الهوى كالسم فى الشهد كامن

لـــذذت به جهـــلاً وفى اللـذة الحـتف

لقد ضرب الواهمون بجذورهم الفكرية فى التربة الثقافية للغرب ، فحصروا الحب بين الرجل والمرأة كطرفين وحيدين للعلاقة ، وكانت مؤامرة التجهيل بالإسلام هى الإطار والسبيل الذى اتخذوه .

ســـــرنا بعـــيدا عنه فاخـــتلـطت

بنا الدروب وصبت فوقنـــا الغـير

فى خيمة من نسيج الوهم لفقها

ضمير باغٍ على الإســـلام يأتمر

حب مبنى على الأوهام ، والأثرة ، وإرضاء الذات ، واتباع الهوى ، والنوايا غير الخالصة ، والنطاق الضيق .

أما الحب الذى ندندن حوله فى هذا الكتاب فهو الحب المبنى على الطهارة والعفة والصدق والإيثار والاستمرار .

حبنا ســـــام مـنزه كطهر الشـــفق

عذب كأنفاس الضحى ثركنبع مغدق

ولا نستطيع أن نقدم سوى نماذج لهذه الأوهام ، ثم نفرد وهمين بمبحثين مستقلين حيث يخلطان الحب بأشياء أخرى .. من هذه الأوهام :

الشعور بالشفقة أو التعاطف : هو شعور مؤقت يزول بزوال أسبابه ، عكس الحب الذى يتميز بالاستمرارية دون علة مباشرة .

الشعور بالافتتان : هو لون من الإعجاب والانبهار ، يتصور المفتون فى الآخر أشياءً عظيمة ! يحيطه بهالة من التقديس ، وقد يرفعه فيها من

مصاف البشر !! ويكون هذا الشعور ـ غالباً ـ فى مرحلة المراهقة أو حالات الغربة ، وينبع عادة من حالات المعاناة وعدم الاستقرار النفسى والشعور بالوحدة والضجر ، ويكون غالباً موجها نحو نجوم أو نجمات السينما ، والأبطال الرياضيين ، وبصفة عامة نحو الشخصيات المشهورة .

والحقيقة أنه ليس حبا كما هو واضح من وصفه ، حيث يتحدث عنه المفتون دائماً بصيغة الماضى ، فإذا تحدث عنه بصيغة المضارع فسرعان ما يزول هذا الشعور لأنه غير أصيل وغير دائم .

الحب العذرى : هو وهم ناتج من تأثيرات الرهبانية القديمة ، وهو نتاج التقاء العاطفة الدينية التى تهذب المشاعر وتصقل الأحاسيس وتطهر النفوس وتزكيها بنزعة الغريزة الجنسية فى قلوب تحيا فى ظل توجيه ورعاية يقومان على التعفف والإخلاص .

وهذا الشعور الهجين ينزه ألسنة أصحابه عن فحش القول والفعل ، كما قال البحترى :

وإنى لتنهانى خلائق أربع   عن الفحش فيها للكريم روادع
حياء وإسلام وتقوى وعفة   وما المرء إلا ما حبته الطبائع

ولا ينشأ هذا الوهم ـ غالباً ـ إلا بين الأتراب المتقاربين فى السن ، وهو ينتشر ـ غالباً ـ فى فترة المراهقة وأول الشباب ، وقد ينشأ فى حال الصغر وينمو على حاله دون نزوع جنسى .

وكان مهد هذا الحب الزائف البيئة الصحراوية فى البادية العربية ، ثم شاع بعد ذلك فى الأدب الشعبى والقصص العاطفى .

وهو يشبه كثيراً « الحب الرومانسى » الذى ظهر فى أوربا فى فترة من تاريخها ، فيتشابهان معاً فى فكرة « الحب من أول نظرة » ! وفكرة

« الحب من أجل الحب » ! ، وفكرة « الحب الأول » ! ، وفكرة « الحب الوحيد » ! .

وهذه الفكرة تقوم على وهم مفاده : أنه لا يوجد سوى إنسان واحد فى الكون كله يوجد فى مكان ما وعلى الحبيب أن يسعى للوصول إليه كهدف يطلبه وغاية يرتجيها ، ويكون هذا الإنسان « امرأة بالنسبة للرجل ، ورجل بالنسبة للمرأة » هو رفيق الروح ، مثالى الصورة تتوفر فيه الصورة المثالية المرسومة فى خيال الحبيب التى تتحقق من خلالها متعة الروح ، ورضا النفس ، واستقرار العاطفة !!

وهو ـ من اسمه ـ يرتبط بالوجدان والعفة والوفاء ، وتحتل فيه المرأة مكانة سامية . . وفحواه ومحتواه المناجاة ومطارحة الحبيب الغرام ، كما فى قول الشاعر :

وما قصدى سوى حب عفيف

سوى نجوى ، وحمق ما عداها !!

وتلازم هذا الوهم فكرة ملحة هى حتمية مروره باختبار عسير !! وهو ما يمثل العقدة أو المحور داخل القصة أو الرواية العاطفية !!

ومعظم الأغانى العاطفية ، والأفلام ، والتمثيليات . . . ظاهرها أنها تدعو إلى هذا النوع من الحب الزائف ، غير أنها ـ فى الحقيقة ـ تدعو للمرحلة الأولى فى طريق محفوف بالمخاطر .

يقول الكاتب الأيرلندى الكبير برنارد شو : (ما الغرض من أغانى الحب ومن أفلام الحب ؟! ليست هذه جميعاً سوى حملة إعلانات لإقامة العلاقة الفاسدة بين الرجل والمرأة) .

ولقد صدق الرجل ... صدق مع نفسه ، وصدق مع قرائه .

فالواقع أن هذا النوع من المشاعر بين الرجل والمرأة لا وجود له فى الغالبية العظمى من الناس ، والاستثناء لا يقاس عليه ، ولا توضع له قاعدة تكون معبراً للوقوع فى الحرام ، فقد حرم الإسلام كل مقدمات الزنا من النظر والتفكير والسير ، فالله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ **يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور** ﴾[1] .

وقال رسول الله ﷺ : « لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان »[2] .

يا للبشاعة يا لـــها تعرى على ســو

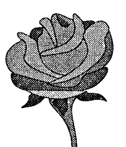
ءات ذؤبـــان ثعـــالب أضبع

عشيت عيون لا ترى هذى الدمى

إنى وضعت على الحقيقة أصبعى

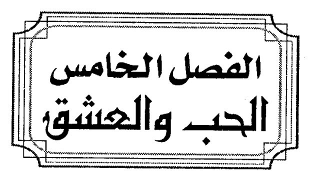
* * *

الخلط بين « الحب والعشق » و « الحب والجنس » وهمان شاعا فى جاهلية عصر العلم !! وترتب على شيوعهما آثار خطيرة ليس على فعالية الحب ونقائه فحسب ، بل على الأخلاق وعلى الحياة كلها على وجه العموم ، لذا سوف نفرد لهما فصلين مستقلين .



(١) سورة غافر : الآية ١٩

(٢) رواه الترمذى .



الفصل الخامس
الحب والعشق

يعرض العشق ويتداول معناه تحت مسمى « الحب » !

ووسط مناخ التجهيل القائم ، ووسط البلبلة الفكرية السائدة وعدم التجانس العقلى والثقافى تختلط المفاهيم ، وتضل القلوب ، وتنتكس الفطر .

وحقيقة الأمر أن العشق لا يعد حبا ، ولا نوعاً من الحب ، ولا يندرج ضمن درجاته وإنما هو **اسم لما فضل عن الحب ،كما أن السرف اسم لما جاوز الجود** .

فالعشق ميل مفرط يجمع بين الاستحسان والطمع ، ويقوم على الأنانية والأثرة ، وتكون متعته متعة محفوفة بالشك والريبة .

وقد عرفه الإمام أبى حامد الغزالى بأنه : (تسخير العقل لحدة الشهوة ، وقد خلق العقل ليكون مطاعا لا ليكون خادماً للشهوة ومحتالاً لأجلها)[1] .

فهو يجعل صاحبه يترك أشغاله ويزهد فيها ، ويجعله يتبع معشوقه كيف سلك ، ويصدقه ويشهد له ويغمى عين قلبه عن رؤية مساوئه وعيوبه ، فلا ترى عينه ما يراه سائر الناس ، ولا يصغى إلى العذل فيه منهم ، حيث أن الرغبات تستر العيوب .

(١) كتاب إحياء علوم الدين .

يقول رسول الله ﷺ : « حبك الشيء يعمي ويصم »[1] .

وهو يؤدى إلى اختلال القيم فى نفس صاحبه فلا يفرق بين الحلال والحرام ، بل إنه قد يستحل الحرام ، أى الكفر ـ والعياذ بالله ـ وهو ما وصل إليه هذا الشاعر فى قوله :

أأترك إتيــــان الحبيب تأثـمـــا
ألا إن هجران الحبيب هو الإثم !!

وهذه المرأة الفاسدة التى تقول :

أنـــا مفــــتونة بحب حبــيب
لســـت أبغى عن بـابه من براح
فصـلاحى الــذى زعمتم فسادى
وفسادى الذى زعمتم صلاحى !!

ويصف أضراره وآثاره الوخيمة العلامة ابن الجوزى فيقول : (العشق ضرره عام فى الدنيا والدين ، فهو فى الدنيا يورث الهم الدائم والذل الكامل والفكر اللازم والوسواس والأرق وقلة المطعم وكثرة السهر ، ثم يتسلط على الجوارح فينشأ عنه الصفرة فى البدن ، والرعدة فى الأطراف واللجلجة فى اللسان ، والنحول فى الجسد ، فالرأي منه عاطل ، والقلب غائب ، ومن تدبير مصالحه عاجز ، والحسرات تتابع ، فإذا صار على غشاء تام ، آل إلى الجنون .

قالوا : جننت بمن تهوى فقلت لهم العشق أعظم مما بالمجانين
العشق لا يستفيق الدهر صاحبه وإنما يصرع المجنون فى الحين

(١) رواه أحمد مرفوعاً .

كـمـا يجنى العـشق على العـرض ، وعلى الجـاه ، وربما أوقع فى كبائر توجب الحد .

وهو فى الدين يشغل القلب عن معرفة الله ، والقرب منه ، ويوقع صاحبه فى الشرك الأكبر ، وبقدر موافقة الحرام يكون خسران الآخرة ، ولا يكاد العـشق يقع فى الحـلال المقـدور عليـه ، وإن وقع فـيـاسـرعـة زواله[1]) !!.

فالعشق ـ فى حقيقته ـ حالة مرضية ، أعراضها ما وصفه الإمام ابن الجوزى ، ينبغى الوقاية منه كما قال الإمام الغزالى : (العشق مرض قلب فارغ لا هم له ، وإنما يجب الاحتراز من أوائله بترك معاودة النظر والفكر ، وإلا إذا استحكم عسر دفعه . .) .

فتكون الوقاية عن طريق : الاحتراز من أوائله بترك معاودة النظر والفكر .

وهذا المرض فى حقيقته (إفراط فى الحب ، لذلك نبهنا رسول الله ﷺ إلى طريق أنجع للوقاية منه فى قوله : « أحبب حبيبك هونا ما ، عسى أن يكون بغيضك يوما ما »[2] .

وهو نفس المعنى الذى عبر عنه الشاعر فى عبارة موجزة ، وبساطة ومنطق واضحين قائلاً :

حب التـفـانى شـطط خـير الأمـور الوسـط

وكرر هذا المعنى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فى قوله المشهور : (لا يكن حبك كلفا ، ولا بغضك تلفا) .

---

(١) ذم الهوى بتصرف وإضافات .

(٢) رواه الترمذى .

وصاغت التجربة هذا المعنى فى مثل من الأمثال الشعبية المصرية المتداولة يقول :

(احبب ووارى ، واكره ودارى) .

وهو ما دعا الشاعر إلى توجيه نصيحته بعد أن رأى الإجماع على صحتها ، فصاغ معنى الحديث النبوى فى هذا البيت :

واحبب ـ إذا أحببت ـ حباً مقاربا

فإنك لا تـدرى متى أنت نـازع

وهناك من ينسب إلى رسول الله ﷺ حديثاً عن العشق ، يذكره العلامة بن قيم الجوزية ، ويعلق عليه قائلاً : (. . وأما حديث « من عشق وكتم وعف وصبر فمات فهو شهيد » فهذا يرويه سويد بن سعيد ، وقد أنكره الحفاظ عليه . .) .

ثم يقول : (وكلام حفاظ الإسلام فى إنكار هذا الحديث هو الميزان ، وإليهم يرجع فى هذا الشأن ، ولا صححه ولا حسنه أحد يعول فى علم الحديث عليه ويرجع فى التصحيح إليه ، ويكفى أن ابن طاهر الذى يتساهل فى أحاديث التصوف ويروى منها الغث والسمين قد أنكره وشهد ببطلانه) .

ثم يقول : (وقد ذكر أبو محمد بن حزم عنه أنه سئل عن الميت عشقاً ، فقال : قتيل الهوى لا عقل له ولا قود) أى لا دية له ولا قصاص .

ثم يختم كلامه قائلاً : (لكن العاشق إذا صبر وعف وكتم مع قدرته على معشوقه ، وآثر محبة الله وخوفه ورضاه ، هذا من أحق من دخل تحت قوله تعالى :

﴿ **وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى** ﴾ [النازعات : ٤٠] .

وتحت قوله تعالى :

﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾ [الرحمن : ٤٦] .

فنسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجعلنا ممن آثر حبه على هواه ، وابتغى بذلك قربه ورضاه)[1] .

وقوع العشق :

العشق مرض . .

وهو كأى مرض لا يختاره الإنسان ، وإنما يصيب العبد حتى ولو كان يعلم طرق الوقاية التى أشرنا إليها ، فيشقى به ، وإن كانت للعشق متعة ، فهى متعة حسية محفوفة بالضنك والكروب ، وهو ما أشار إليه الشاعر فى قوله :

خليلى ! إن الحب فيه لذاذة وفيه شـــقاء دائم وكروب

ولهذا فإن هذه العلاقة لا تدوم بين العاشقين حيث المنغصات والمعاناة والصراع والتناقض الوجدانى والنقد اللاذع ، حيث يفقد كل منهما احترامه للآخر .

وقد فرق أحدهم بين الحب والعشق بقوله : (الحب يقوم على احترام وانسجام وتفاهم ، فإذا خلا من الاحترام فهو عشق) .

يقول العلامة ابن القيم عن هؤلاء المرضى مشخصاً داءهم : (ولكن من المرضى من يمنعه الطبيب عمـا يضره فتأبى عليه نفسه إلا تناوله ، وكذلك من الأصحاء الغافلين ، فيقدمون شهوتهم على

(١) الداء والدواء : العلامة ابن قيم الجوزية .

عقـولهم ، فـأصل الشر من ضعف العقل وضعف الشخصيـة ودناءة النفس ، وأصل الخير من كمال الإدراك وقوة الشخصية وشرف النفس وشجاعة القلب)[1] .

ولله رد القائل :

وما عـاقل فى الناس يحـمد أمره

ويذكر ، إلا وهو فى العشق أحمق

وما من فتى مـا ذاق بؤس معـيشة

من الناس ، إلا ذاقها حين يعـشق

فإذا وقع المرض وهو عشق ما لا يحل له وجب العلاج .

والعلاج فى اختصار ، هو عملية إشغال للفكر والقلب ، وتوجيه لهما وجهتهما الصحيحة : ذكر الله والإقبال عليه بالصلاة والصيام .

وصف العلامة ابن القيم الدواء قائلاً : (**اللذة الحاصلة بذكر الله والصـلاة ـ عـاجـلاً أو آجـلاً ـ أدفع للهـمـوم وأعظم وأبقى ، ولذة العشق أجلب شيء للهموم والغموم ـ عاجلاً وآجلاً ـ ففى لذة ذكر الله والإقبـال عليـه والصـلاة بالقلب والبـدن من المنفعـة الشـريفـة العظيـمة، السـالمة عن المفـاسـد ، الدافعـة للمـضـار ، غنى وعـوض للإنسـان ـ الذى هو إنسـان ـ عن لذة العـشق الناقـصة القـاصـرة ، والمانعة لما هو أكمل منها ، الجالبة لألم أعظم منها**)[2] .

أخيراً : ينبغى على كل ذى قلب فارغ من الهـموم أن يتذكر أن هناك فرقاً شاسعاً بين الحب والعشق ، هو نفسه الفرق بين السعادة والشقاء، بين النصر والهزيمة .

(١ ، ٢) الداء والدواء : العلامة ابن قيم الجوزية .

يقول الشاعر :

أى عشق يا سليب الأرض من دون سماء ؟!

أى عشق ؟!

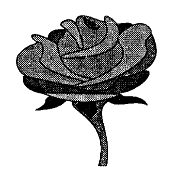
والصواريخ تدك الكبرياء .

قد دحرنا .

يوم صار الفن ماخوراً كبيراً .

يوم أضحى الحب .

كأساً وسريراً .



الفصل السادس
الحب والجنس

فى إطار تزييف معنى الحب وتحريفه ومسخه فى صورة وثنية ذميمة تحصر همها فى المرأة كأنثى بالنسبة للرجل ، وفى الرجل كذكر بالنسبة للمرأة ، يأتى استخدام لفظ « الحب » مرادفاً « للجنس » يخفون تحته الجهل والانحلال والعهر ، وناقلين هذا الاستخدام عن الغرب الذى :

يسوق الرزايا ويهدى المناى   إلى الخلق من علمه المبتكر

وهم فى هذا التزوير : (. . ينزلون الحب من عرشه ويضعون مكانه النزوة . .) كما يقول الدكتور مصطفى محمود[١] .

لقد أيقظوا الغريزة الجنسية وعملوا على إثارتها بشتى الوسائل باسم الحب ، فطفت لفظته على الألسن ، وغاضت حقيقته فى القلوب .

وفى هذه الحالة يقول رسول الله ﷺ : « إذا أظهر الناس العلم وضيعوا العمل ، وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب ، وتقاطعوا بالأرحام ، لعنهم الله عز وجل عند ذلك ، فأصمهم وأعمى أبصارهم »[٢] .

اختلاف الحب عن الجنس :

الحقيقة .. الميل الجنسى غير الحب ، يختلف عنه فى أصله ، كما يختلف عنه فى رسالته وثماره .

(١) انظر مقالته فى آخر هذا الفصل

(٢) رواه الحسن البصرى مرسلاً .

وسوف نبين حقيقة كل منهما ، بما يكفى لدحض ادعاء تشابههما فضلاً عن ترادفهما ، وذلك فى النقاط التالية :

الدافع الجنسى يتعلق ـ أساساً ـ بعلم وظائف الأعضاء ، بينما الحب يتعلق بالذات الشاعرة التى تحتوى ضمن ما تحتوى الطاقة الهادفة لحفظ النوع .

الغريزة الجنسية تبدأ من الشخص لتشبع حاجته ، بينما الحب إيثار وتضحية وبذل .

العملية الجنسية عملية حسية تتمثل فى رغبة فى القرب البدنى من طرف آخر ولمسه ومداعبته ، وقد تكون متبادلة من الطرفين ، وقد تكون من طرف واحد ، بينما الحب شعور يخلو من الدافع الجنسى ، يتعلق برؤية القلب شيئاً وراء الصورة الحسية للمحبوب ، كحب الله تعالى وحب الوالدين وحب رسول الله ﷺ . . . إلخ .

العملية الجنسية ، والميل الجنسى ، والرغبة الجنسية كلها تنتهى بالإشباع الذى يمكن تحقيقه بأيسر السبل بدون حب ، وبدون تفكير ، وبدون عناء يذكر ، وهو ـ أحيانا ـ يتم فى لقاء المصادفات وفى العلاقات العابرة التى لا تخلف شيئاً فى الذهن ولا تترك أثراً فى الخيال ، بل وأحيانا يتم مع وجود الكراهية !.

بينما الحب رابطة مستمرة دائمة لا شبع فيها .

العملية الجنسية قد تتم لأسباب مادية كما فى حالة البَغى ، أو لأداء واجب ، أو لمجرد التسلية .

أما رابطة الحب فهى رابطة حميمة مليئة بالود والرحمة والزخم الجميل .

---

(١) رواه أحمد مرفوعاً .

العملية الجنسية مرتبطة بدرجة معينة من النضج العقلى والبدنى ، بينما الحب شعور ممتد امتداد حياة الإنسان منذ مولده وحتى شيخوخته ووفاته ، وتستمر حتى بعد الموت !!

الاختلاط والجنس والحب :

كانت الدعوة إلى سفور المرأة فى أواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرن تأتى على استحياء طالبة الكشف عن وجهها فى أول الأمر ، واقترن هذا الطلب بوجوب تعليمها فنون البيت والأسرة إلى جانب القراءة والكتابة مستندة إلى أن الإسلام لم يمنع هذا .

ثم ما لبثت الدعوة أن أخذت بعداً آخر ابتعد بها عن الإسلام واقترب بها من الغرب الأوروبى وبدا أن الأمر استعمار ثقافى واجتماعى إلى جانب الاستعمار العسكرى .

وقد نبه العلامة محمد إقبال الذى عاش فى الغرب فترة طويلة من حياته إلى هذا الشر ، قائلا لأبناء دينه :

تنبه لهذا الدخيل الذى — تفر الثعالب من مكره
وإذا مررت على حانة — تعوذ بربك من شره
فمن ذاق خمرته لم يعد — إلى داره ، بل إلى قبره !

أخذت الدعوة بعداً آخر بمحاولة صبغ مجتمعنا الإسلامى بالطابع الأوروبى ، والعمل على تغيير العرف الإسلامى عن طريق التجهيل بمبادئه ، ونقل أبناء هذا المجتمع من الإفراط إلى التفريط مستغلين حالة التخلف والكسل الفكرى والجمود الفقهى التى أصابت طليعته .

وكان أحد المحاور التى تحرك عليها ومن خلالها هؤلاء العملاء هو الدعوة إلى الاختلاط بين الجنسين فى كل مكان وتشجيعه خاصة بين

المراهقين والشباب الذين افتقدوا تربية وتوجيه إسلامى صحيح ، وفى مجتمع أصابته الأمراض الثلاثة المزمنة : الفقر ، والجهل ، والمرض . . بفقدان الوعى .

وقد كانت هذه الدعوة ـ دون وضع ضوابط شرعية لها ـ من أكبر العوامل التى أدت إلى تزييف معنى الحب فصبغته بالمعنى الجنسى ، أو أنها ـ فى بعض الأحيان ـ ألبست الجنس ثوب الحب فى إطار من التزيين والإغواء لما للحب من بشاشة فى القلوب ، وقبول حسن لدى الجميع .

وليخسأ الزيف لن تقوى وسائله   أن تدرك النبل أو أن تبلغ الرتبا

ودعاة الاختلاط يزعمون أنه يلطف الطباع ، ويزهد فى الاهتمام بقضايا الجنس !!

وهو زعم ـ لو صح ـ لكان الاختلاط التام بين الزوجين سبباً لزهدهما .

والواقع أن الاختلاط ـ دون ضوابط شرعية ـ قد أدى فى أوروبا إلى فساد خلقى عام ، وإلى فوضى جنسية عارمة ، تنبىء بما يمكن أن يصل إليه مجتمعنا .

لهذا وضع الإسلام ضوابط للاختلاط بين الجنسين ، أهم هذه الضوابط :

١ ـ عدم الخلوة بين الرجل والمرأة الأجنبية ، يقول ﷺ : « لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذى محرم »(١) .

٢ ـ غض البصر من الرجل والمرأة ، يقول ﷺ : « النظرة سهم من

(١) متفق عليه .

سهام إبليس ، فمن غض بصره عن محاسن امرأة لله أورث الله قلبه حلاوة إلى يوم يلقاه »[1] .

ويقول الله تعالى: ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ...** ﴾[2] .

ويقول سبحانه : ﴿ **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون** ﴾[3] .

٣ ـ مراعاة أدب الحديث من حيث الموضوع : « القول المعروف » ومن حيث الأسلوب : عدم الخضوع بالقول .

يقول الله تعالى : ﴿ **يا نساء النبى لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً** ﴾[4] .

ويقول سبحانه : ﴿ .. **لا تواعدوهن سراً إلا أن تقولوا قولاً معروفاً** ... ﴾[5] .

٤ ـ ألا تكون المرأة متعطرة ، أو تلبس ما يلفت إليها الأنظار .

---

(١) رواه أحمد .

(٢) سورة النور : الآية ٣٠

(٣) سورة النور : الآية ٣١

(٤) سورة الأحزاب : الآية ٣٢

(٥) سورة البقرة : الآية ٢٣٥

٥ ـ أن يكون المناخ العام للاختلاط مناخ إيمان وتقوى والتزام وعفاف .

هذه الضوابط وغيرها وضعها الإسلام للاختلاط بين الرجل والمرأة ، لما ينتج عن اجتماعهما من نتائج ثابتة ومؤكدة ، وكما تقول الدكتورة نوال عمر فى كتابها « مناهج البحث » : (**ولعل أهم المسلمات انتظام ظاهرة الكون ، بمعنى أن تكرار نفس الظروف المحيطة والمصاحبة لظاهرة ما ، يرتبط بحدوث نفس الظاهرة**) .

فإذا طبقنا هذه المسلمة على العلاقة بين الرجل والمرأة لوجدنا أن الجنس يحتل مكانة عميقة داخل كل منهما ، ينتج عنه سلوك مصاحب لهذا الاختلاط المرضى المشبوه .

وهذه الضوابط تعمل على إحاطة العلاقة بين الرجال والنساء بسياج من العفة والاحترام والطهر والاستقامة حتى لا تنطلق الغرائز وتنفلت الفتن .

يقول الأستاذ فتحى يكن : (لابد من الاعتراف بأن الغرائز ـ كل الغرائز ـ عرضة للانطلاق والانكماش ، والمد والجزر تبعا للمثيرات والمهدئات ، فالذى يجلس على مائدة تزدحم بأنواع التوابل يكون إقباله على الطعام أشد ممن حرم منها ، وهذا من شأنه ـ بدون شك ـ أن يعمل يوما بعد يوم على مضاعفة حاجته الغذائية تبعا لامتداد أمعائه) .

ويقول الشاعر فى تأكيد هذا المعنى :

فلا ترم بالمعاصى كسر شهوتها
إن الطعام يقوى شهوة النهم

والنفس كالطفل إن تهمله شب على
حب الرضاع ، وإن تفطمه ينفطم

فاصرف هــواها وحــــاذر أن توليـــه

إن الهـــوى إن تولى يصـــم أو يصـــم

تنظيم الإسلام للعلاقة بين الجنسين :

نظم الإسلام العلاقة بين الجنسين ، وبين حدودها ، وجعل عماد هذا التنظيم العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة ، فحرص على أن تكون علنية ، وجعل إشهارها ركنا أساسيا من النظام الذى وضعه ، وسمى هذا النظام « نكاحاً » و « زواجاً » .

وجعل الإسلام عقد الزواج الصحيح يقرر أخلاقية العلاقة أمام الناس ، وجعل الأسرة هى المنظم الطبيعى لانطلاق الشهوة الجنسية .

وقد حقق هذا التنظيم أهدافه جميعاً لإخراج مجتمع سليم وأمة وسطاً ، حيث منع دمار الجسد وعذاب اللهفة الدائمة وفى نفس الوقت حقق الرضا والارتواء.

ورغم أن البعض لا يرى فى العلاقة الزوجية الكمال ، إلا أنه لا يملك إلا الاعتراف بأنه أجمل وأكمل العلاقات الإنسانية ، فهو - عكس الزنا - يسمو بالنفس ، ويشعر كلا الزوجين بالأمان ، ولذة السلطان والقوة باعتبرهما يكونان أسرة تعد لبنة فى بناء المجتمع ، مع ما يضفيه على الطرفين من بهجة وسعادة .

ولهذا كان رسول الله ﷺ يقول : « لم أر للمتحابين مثل النكاح »[١] .

وكان يقول أيضا : « إن سنتنا النكاح ، شراركم عزابكم ، أراذل موتاكم عزابكم »[٢] .

---

(١) رواه ابن ماجة والحاكم والبيهقى .

(٢) أسد الغابة ج ـ ٤ ص ٣

ويقول أيضا : « النكاح سنتى ، وسنة الأنبياء قبلى ، فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

ويؤكد هذا المعنى بقوله : « من كان موسراً لأن ينكح ثم لم ينكح فليس منى »[1] .

وكان الإمام أحمد بن حنبل يقول : (من دعاك إلى غير الزواج فقد دعاك إلى غير الإسلام) .

وهذا كله لأنه ثبت أنه ليس فى استطاعة الرجل أو المرأة أن يعيشا صالحين بغير زواج .

ومن هنا كان تيسير الإسلام لأمر الزواج ، وبسط عُقَدَه وحث على عدم المغالاة فيه ، ثم أحاطه بكل عوامل النجاح .

وهذا شاعرنا يسوق هذا الحوار المألوف :

قال الفتى للفتى : ما دمت تهواها ... ولا ترى النور إلا فى محياها
فأنس بها زوجة تؤويك حانية ... وكن بحبك مهواها ومأواها

ويأتى هذا القول من رصيد إسلامى أصيل من سيرة النبى ﷺ ، وصحابته الكرام ، والسلف الصالح .

فقد أصدق على فاطمة درعه الحطمية ، وكان فراشهما حشو من ليف .

وأجاز النبى ﷺ زواج امرأة من بنى فزارة على نعلين .

وزوج ثالث بخاتم من حديد .

ورابع بسورة من القرآن .

(١) رواه الطبرانى والبيهقى .

ولهذا كله ثار شاعرنا على مغالاة الناس فى مهور بناتهم ، ووضع المعوقات فى سبيل زواجهن ، ودعاهم قائلاً :

لا تجعلــــوا البيت والتزويج مشــكلة
ويســروا من أمـــــور الدين مـــا عسرا

لا تخشوا الفقر ، كم من أسرة شــبعت
عزاً ومـــالاً ، وفرد خـــاب وافتـــقرا

ولا تخـــافوا شـــقاقـا فى بيـــوتكم
بل اضمروا الحب ، يبقى الحب منتصرا

الخطبة :

مهد الإسلام لعقد الزواج بالخطبة .

والخطبة هى الوعد بالزواج ، يقول الله تعالى : ﴿ **ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم فى أنفسكم** ... ﴾[1] .

يقـول الطبـرى فى تعليقـه على هذه الآية بجـواز تعبـير الرجل عن الإعجاب بالمرأة التى يريد أن يتزوجها عند التقدم لخطبتها ، بل والتعبير عن حبه لها ، ويذهب الإمام الطبرى إلى جواز تقديم الهدايا مع عبارات الإطراء فى التعريض بالزواج وأثناء فترة الخطبة .

والمقصود هنا هو التعبير عن تلك المشاعر النبيلة التى تأنف اللمسة الحرام ، والخلوة الحرام ، وتظل عاطفة مشبوبة ، وفرحة مجنحة ، وأملاً كبيراً ، وتنتهى بالزواج .

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٣٥

العقـــد :

بعد هذه المقدمة ، وهذا التمهيد ، وهذا الوعد ، تأتى المرحلة النهائية للزواج وهى « العقد » ويشترط الإسلام شروطاً ينبغى أن تتوفر فى طرفى العقد قبل إبرامه ، وأيضا قبل الخطبة ، أول هذه الشروط الإيمان والتقوى .

يقول الله تعالى : ﴿ **ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار والله يدعوا إلى الجنة والمغفرة بإذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون** ﴾[١] .

وفى حال الاضطرار يجيز التزوج بالإماء مع اشتراط استقامتها وعفافها إلى جانب الشرط الأول وهو « الإيمان » .

يقول الله تعالى : ﴿ **ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشى العنت منكم وأن تصبروا خيراً لكم والله غفور رحيم** ﴾[٢] .

هذا بالنسبة للمؤمنين الصادقين ، أما بالنسبة للفاسقين الذين يشهد لهم بسوء السيرة ويشتهر عنهم الفحش والمنكر ، فقد اشترط الإسلام ـ كقاعدة عامة ـ التشاكل فى طرفى عقد الزواج فى قوله سبحانه :

(١) سورة البقرة : الآية ٢٢١

(٢) سورة النساء: الآية ٢٥

﴿ الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم ﴾[1] .

وقد أغلق الإسلام على غير المؤمنين الباب فى مسألة التزاوج والتناسل ، وقصر هذا الحق على من يشاكلهم فى الاعتقاد والسلوك مؤكداً ما جاء فى الآية السابقة .

يقول الله تعالى : **﴿ الزانى لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين ﴾**[2] .

فالإسلام يؤسس الأسرة على أساس الإيمان ، والإيمان مقدم على كل شرط آخر ، فالذين يقدمون « الحب » على « الإيمان » ويجعلونه أساساً لبيوتهم يعرضونها لتقلبات المشاعر ، فالقلوب تتقلب و « الحب » لا يصلح أساساً متينا يقوم عليه بناء الأسرة .

انظر إلى قوله تعالى عند اشتراط إيمان الزوجة ، والنهى عن الزواج بالمشركة أو بالمشرك :

﴿ .. ولو أعجبكم .. ﴾ ﴿ ولو أعجبتكم ﴾ والإعجاب هو أول مقدمات الحب .

ولعلمه ﷺ وشعوره بتقلب القلوب كان يدعو : « يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك »[3] .

وكان ﷺ يؤكد تقديم الإيمان على الحب فى الزواج ويقول : « لا يفرك مؤمن مؤمنة ، إن كره منها خلقاً ، رضى منها آخر »[4] .

---

(١) سورة النور : الآية ٢٦
(٢) سورة النور : الآية ٣
(٣) رواه الترمذى .
(٤) رواه مسلم .

وكما يقول الشاعر :

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها

كفى المرء نبلاً أن تعد معائبه

وقد شاع هذا الفهم بين المسلمين ، حتى أن رجلاً هم بطلاق امرأته لأنه لا يحبها فوبخه عمر بن الخطاب قائلاً : (أوكلّ البيوت بنى على الحب ؟! فأين الرعاية والتذم ؟!) .

وقد أكد هذا النهج من طريق آخر قول الكاتبة ايفلين مبليس فى كتابها : « كيف تبنى حياتك الزوجية » : (إن الحب ليس كل شىء ، فهناك عوامل كثيرة لكل منها شأن وأثر هامان لنجاح الحياة الزوجية ، والاندفاع للزواج على غير أساس سوى الحب مخاطرة اجتماعية وشخصية) .

ومن هنا كان التوجيه القرآنى : ﴿ .. **وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً** ﴾[1] .

وجاء فى تفسير هذه الآية : (إنكم إذا كرهتموهن لعيب فى الخَلْق أو الخُلُق مما لا يعد ذنباً لهن ـ لأن الأمر ليس فى أيديهن ـ أو التقصير فى بعض واجباتهن ، أو الميل منهم إلى غيرهن . . فأصبروا ولا تعجلوا بمضارتهن ولا بمفارقتهن لأجل ذلك)[2]

الحب فى الزواج :

ولا يفهم من هذا أن الإسلام يدعو لتنحية الحب من بين الزوجين أو يغض من قيمته . . كلا . . إنما نفهم أن الإسلام يدعو للمثل العليا

---

(١) سورة النساء : الآية ١٩ — (٢) تفسير المنار للشيخ رشيد رضا .

وسمو النظرة والفكرة ونضج العلاقة الزوجية وارتفاعها عن حدود الذات إلى حدود المجموع ، وثراء عطاء الزوجين ، وتجاوزهما الشعور الموقوت ، والبذل والإيثار فى سبيل إنقاذ سفينة الحياة مما تتعرض له من رياح وعواصف وأعاصير .

وقد حث رسول الله ﷺ على أن يعبر الرجل لزوجته عن حبه فى قوله : « قول الرجل للمرأة إنى أحبك لا يذهب من قلبها أبداً » .

إلا أن الإسلام ينهى عن المبالغة فى حب الزوجة لزوجها ، أو الزوج لزوجته إلى حد العبودية ، وهذا يندرج فى إطار نهيه العام فى هذا الأمر .

فيقول رسول الله ﷺ : « تعس عبد الزوجة »[1] .

الجنس فى الزواج :

الزواج فى الإسلام ترويح وإيناس وتجاوب وتعاطف ، وتنمية لنوع من الامتزاج بين جسمين وروحين فى إطار من التوافق الجنسى والإعجاب المتبادل بين الزوجين .

يقول الله تعالى : ﴿ **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون** ﴾[2] .

وقد جعل الإسلام جماع الرجل زوجته صدقة !

يقول رسول الله ﷺ : « إن فى بضع أحدكم لصدقة »[3] .

وحتى لا تأخذ هذه العملية شكلا بهيمياً أمر بالتقديم لها .

---

(١) رواه البخارى .

(٢) سورة الروم : الآية ٢١

(٣) رواه مسلم .

يقول الله تعالى : ﴿ **نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم ...** ﴾[1] .

وفى نفس المعنى يقول رسول الله ﷺ : « لا يقعن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة وليكن بينهما رسول » قيل : ما الرسول يا رسول الله ؟ قال : « القبلة والكلام »[2] .

فالإسلام يسمو بالعلاقة عن الدرك الحيوانى البهيمى السافل إلى معانى الرحمة والحب والتعاطف والمودة .

والقبلة فى أغلب حالاتها ليس لها المعنى الجنسى ، وعند إطلاق لفظها لا تعد كذلك .

والإسلام ـ لذلك ـ جعلها لا تفسد صوما ولا تنقض وضوءاً ، وإنما جعلها من وسائل التعبير عن الرحمة .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قبَّل رسول الله ﷺ الحسن والحسين بن علىّ ، وعنده الأقرع بن حابس التميمى ، فقال الأقرع : إن لى عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً قط ، فنظر إليه رسول الله ﷺ وقال : « من لا يرحم لا يرحم » ، وفى رواية : « أو أملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك »[3] .

ومما يؤكد هذا المعنى حتى فى علاقة الرجل بزوجته قول رسول الله ﷺ : « ثلاثة من الجفاء . . . ، . . . . ، وأن يجامع الرجل زوجته ولا يقبلها » .

(١) سورة البقرة : الآية ٢٢٣

(٢) رواه الديلمى .

(٣) رواه ابخارى .

فجعل عدم التقبيل من الجفاء .

وهو نفس ما ذهب إليه المثل الإنجليزى القائل : (عديم القبلات عديم الشفقة) .

وفى نفس اتجاه السمو والارتفاع والطهارة ، يغلب الإسلام مشاعر الحب من الرجل على رغبته الجنسية ، ويجعل هذه الموقف منه فى مراعاته لهذا التوجيه جالب لحب الله تعالى لهذا الرجل .

يقول الله تعالى : ﴿ **ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن ، فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين** ﴾[1] .

ومراعاة الرجل لمشاعر المرأة ، وما يطرأ عليها من تغيرات واضطرابات أثناء المحيض ، ينمى فى قلب المرأة مشاعر الحب تجاهه ، ولها نفس جزاء الرجل فى مراعاتها للأمر الإلهى بالاعتزال من حب الله تعالى لها .

وللقرآن الكريم ـ فى سياق الارتفاع والعلو ـ أسلوبه الفذ فى التعبير عن الجنس فى الزواج ، حيث يعبر بدقة وواقعية وصدق وجمال عن هذا الأمر دون التعرض لأى لون من ألوان الإثارة بكلمات مثل :

حرث .. رفث .. قرب .. مضجع .. إفضاء.. دخول .. مباشرة .. ملامسة .. مس .. إتيان .. إلخ .

دون حرج ولا تورية ولا تخفى ، ودون تسفل أو لهاث أو سعار ، بل بأدب قرآنى رفيع .

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٢٢

الزنـــا :

باسم الحب كم ترتكب من جرائم !!

وتحت ستار تزييف الحب يزنى المجرمون .

والزنا هو الجنس خارج إطار الزواج(*) بين رجل وامرأة .

والزنا فى الإسلام جريمة لها عقوبة دنيوية هى أحد الحدود المنصوص عليها فى القرآن الكريم .

والزنا كبيرة من كبائر الذنوب تورث إظلاماً فى القلب ، وسواداً فى الوجه ، وسوءاً فى العيش .

والزنا يؤدى إلى ضمور الملكات العليا فى القلب كالمروءة والغيرة والشجاعة والنخوة والصدق والأمانة .

يقول الله تعالى : ﴿ **ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً** ﴾[1] .

وعلى نهج الإسلام فى وضع التدابير الوقائية لعدم الوقوع فى الجرائم التى جرمها ، حرص على تجنيب أتباعه كل المثيرات الجنسية ، بداية من تربية الواعز الداخلى ، وتزكية النفس بالتقوى والعفاف ، وغض البصر ، وبناء الشخصيات القوية ذات القلوب السليمة القادرة على التعامل الكفء مع الجنس الآخر ، وتطبيق القيم الأخلاقية فى حدود مرونة الشريعة .

ويأتى حجاب المرأة وارتدائها غطاءاً للرأس كأحد التدابير الوقائية ،

(*) هناك استثناء وهو « ملك اليمين » بالنسبة للرجل ، ولا مجال للحديث هنا عن هذه الصورة لعدم وجود هذه الصورة الآن .

(1) سورة الإسراء : الآية ٣٢

فإذا توفر فى زى المرأة شروط الحجاب الشرعى ، واتسمت بقوة الشخصية والقلب السليم ، كان هذا الحجاب سبباً عظيماً للحب الصحيح الطاهر المشوب بالتقدير من قبل الناس لها ، والحب المشوب بالإعزاز من قبل محارمها ، والحب والثقة والشوق من قبل زوجها ، مع تحصين المجتمع من الكلمات النابية والأقوال البذيئة .

يقول الله تعالى : ﴿ **يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيماً** ﴾(1) .

ولكن ماذا يفعل الرجل إذا أعجب بامرأة غير زوجته ؟

يجيب رسولنا محمد ﷺ على هذا التساؤل قائلا : « إذا رأى أحدكم امرأة ، فوقعت فى قلبه ، فليعمد إلى امرأته فليواقعها ، فإن ذلك يرد ما فى قلبه »(2) .

ويؤكد هذا « الدواء» لعلاج هذه الحالة الدكتور نوبل كيز فى كتابه « الأسرار الجنسية » قائلاً : (ليس ثمة شىء يجد المرء راحة فى إتيانه مع غير زوجته ، إلا ويجد راحة فى إتيانه مع زوجته ، ولا شك سيكون أتم وأعظم) .

آثار الخلط بين الحب والجنس :

قد يؤدى الحب بمفهومه الصحيح بين رجل وامرأة إلى الزواج ، وهنا يكون الحب سبب للجنس وقد تؤدى العلاقة الجنسية بين زوج وزوجته بدون حب إلى الود بينهما وهو درجة عالية من درجات الحب .

---

(1) سورة الأحزاب : الآية ٥٩ (2) رواه مسلم .

أما هذا الخلط والتزييف للحب ، وهذا التشويه والمسخ فى وجدان الناس وقلوبهم ، فهو أشد خطورة من تشويه الأجساد ، حيث يحول الأمة إلى فتات غارق فى وحل الجنس واللذة المحرمة .

يقول الشاعر :

وإذا استذلت أمة شهواتها جمدت ولم تنهض ولم تتقدمْ

هـذى ليالينا ، وتلك حياتنا أوهام عرسٍ فى حقيقةِ مأتم

ومعظم الفتيان والفتيات المتأخرين فى دراستهم والفاشلين فى تعليمهم تعود أسبابها إلى ما قدم لهم من خلط بين معانى الحب النبيلة وإلباسها للجنس فى طور المراهقة الذى تتعاظم فيه هذه الأمور وتسيطر على أذهانهم .

ويفسر هذا الدكتور ألكسيس كاريل بقوله : (حين تتحرك الغريزة الجنسية لدى الإنسان تفرز نوعاً من المادة التى تتسرب بالدم وتخدره ، فلا يعود قادراً على التفكير الصافى) .

هذه المادة التى يشير إليها تفرزها الأعضاء التناسلية (الغدد الجنسية) فى النوعين وتسمى « الهرمونات » وهذه التسمية أصلها إغريقى بمعنى « هاج » وهى التى تسبب الإثارة وعدم القدرة على التركيز .

يقول الشاعر :

ويح الشباب إذا الشيطان نازعهم

على العقول فأوهاها وألغاها

قد علمتهم أفانين الخنا صحف

غشى بصائرها زيغ وأعماها

وشاشة ضل راويهـــا وعارضــها

ومن برسم الخفا والرجس جلاها

ومجرم فى فم المـذيـــاع لقنهم

ألحـــان فحش وزكاها وغنـــاها

أمـا أخطر آثار هذا الخلط بين الحب والجنس على الإطلاق فـهـو التلوث الذى أصـاب فطر الصـغـار ، حيـث يهـيـجـون ـ باسم الحب ـ أجهزتهم التناسلية قبل تمام نموها ، مما يصيبهم بما يعرف بـ « النضج الجنسى المبكر » الذى يؤثر تأثيراً خطيراً على بناء أجسامهم وعلى بناء عقولهم ، فتفقد أجسامهم السلامة والتكامل والقوة ، وتفقد عقولهم الاتزان ، وهم يفقدون ـ مع ذلك ـ حياة الطفولة الزاخرة السعيدة ، ولا يعرفون الحب الحقيقى الضرورى لحاضرهم ومستقبلهم ، فينشأون تحت ظروف نفسية شاذة ، فيحدث الخلل .

يقول صاحب كتاب « الثورة الجنسية » : (إن الشهوات التى تغرق أصحابها تفسد لياقتهم الطبية والنفسية) .

لقنونا .

لا يكون الحب حباً

دون عرى الركبتين

فسمعنا

وأطعنا

فتعرى الحب منا

حين صار القلب عند الركبتين

حين ضاع النبض بين الشفتين

التدليك العاطفى :

وهذه بعض الآثار العملية الواقعية لهذا الخلط بين الحب والجنس ، وهذا التزييف للحب فى هذه المقالة :

(نظرة سريعة على الأفيشات والملصقات وأفلام الحب المرسومة على الجدران . . حب ودماء. . حب وضياع . . حب تحت الشمس . . جنون الحب . . جريمة الحب . . ليلة حب .

وصورة فخذ عريان فى بانيو . . وامرأة ملقاة فى الفراش وفوقها رجل . . وخنجر مغروس فى صدر عريان . . ومدفع رشاش فى يد امرأة ترتدى مايوه ، ومروض وحوش فى يده كرباج وتحت قدميه جينا لولو بريجيدا ومكتوب عليها « رغبات شاذة » !!

ورجل فى حضن رجل ومكتوب عليها « علاقة سرية » !! وعجوز متيم بحب لوليتا فى الثالثة عشرة من عمرها .. وحب سن الثمانين .. وسفاح الحب ! .. ولهيب الحب ! .. ونار الحب ! .. ولذة الحب !!

وما أبعد كل هذا الهذيان عن الحب .

وما أشبهه بمؤامرة على أعصاب المتفرج وجيبه وقله .

مؤامرة ابتزاز صريحة تحت شعار أنبل المشاعر الإنسانية . . مشاعر الحب .

لماذا لا يسمون الأشياء بأسمائها الحقيقية ؟! ولماذا لا نقرأ الصور بدقة حتى لا تخدعنا العناوين ؟!

لماذا لا نعترف أننا فى عصر الترويج العلنى للدعارة والشذوذ والجريمة وأن بلاتوهات السينما تحولت إلى مخادع للتفرج المشروع على أساليب الغواية الجنسية ؟

إنه الجنس والدم ، ولا شيء آخر .

وما أن أبعد الجنس عن الحب ، وما أكثر ما يتم الجنس بلا حب.. بل مع الكراهية ، وما أكثر ما يتم شراؤه بالمال .

إن الجنس والحب لم يكونا قط توأمين .

والحب الحقيقى هو قطعاً شيء آخر غير ما نرى فى السينما .

إنه فى ذلك الحنان الذى رأيناه بين آبائنا وأمهاتنا ، وتلك المودة والرحمة اللتان تؤلفان بين قلب الرجل وقلب المرأة ، وتصنعان تحالفاً هادئاً على عمل الخير ، وعشرة ناعمة خالية من هذه التشنجات الدرامية التى نراها مدسوسة علينا فى التليفزيون والسينما .

هذه المآسى المفتعلة ، والمواجع المزيفة ، والأنات الجنسية ، والرعشات المخبولة هى بضاعة التجار وسلعة المنتجين اليهود ، يدسونها لنا مع الأفيون ، والهيروين ، والحشيش ، والماريجوانا ، وعقار الهلوسة L.S.D. إنها جزء من عملية واسعة لتخدير العالم تمهيداً للسطو عليه .

وشركات التليفزيون والإذاعة والاسطوانات ودور النشر والمجلات تسابقت فى نشر هذه الحمى ، أحياناً بقصد وأحيانا بغفلة ودون وعى ، كما يحدث فى بلادنا .

وانتشرت الأغانى التى تقوم بهذا النوع من التدليك العاطفى أمثال :

من سحر عيونك ياه (وتنطقها المطربة : من سحر عيونك ياح) ، وتعالى يالله يالله . . تعال يالله يالله . . فى غمضة عين . . وننام على حب ونقوم على حب . . وعذبنى وأنا أجرى وراك . . ويا مدوبنى دوب .

وهى أغان لا تختلف كثيرا عن أغنية كرستين التى تصرخ فيها بصوت أجش فيه فحيح : أوه يا حبيبى . . مرة أخرى أرجوك .

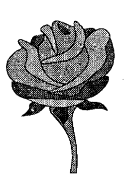
ثم نسمع فى ألمانيا عن الهر مسافة « يواخيم درسين » صاحب مجلة « سانكت باولى تسايتونج » وكيف أنه أنشأ فى هامبورج حزباً أسماه « حزب الب » وشعار الحزب الحرية الجنسية للجميع !! .. الرجل يتزوج الرجل ، والمرأة تتزوج المرأة ، والأزواج يتبادلون زوجاتهم فى الفراش ، والأولاد والبنات يتدربون على الجنس من سن التاسعة ، وحبوب منع الحمل والحبوب المهيجة توضع فى بطاقات التموين وتوزع مع السكر والزيت والشاى .

وشعار الحزب هو « الجماع بدل الحرب » !! ، فتزحف الشعوب بعضها على بعض ليجامع رجال شعب نساء شعب آخر فى مؤتمرات للذة ، بدلاً من زحف الجيوش للحرب ، ومجلة الهر يواخيم تبيع مليون نسخة .

وهناك ثلاثة آلاف ألمانى وألمانية يدفع كل واحد عشرة ماركات اشتراكا شهريا ورسم ولاء لهذا الحزب .

وسكرتيرة الهريواخيم فتاة جميلة تستقبل الزوار عارية .

وهذه نهاية التدليك العاطفى : المؤامرة التى رسمها التجار الأذكياء للقضاء على العالم)[1] .



(١) مقالة للدكتور مصطفى محمود بعنوان « التدليك العاطفى » نشرت فى مجلة أكتوبر .

الفصل السابع

الحب الخالص

حب الله تعالى :

حب الله تعالى هو أصل الحب الخالص .

وحب الله تعالى هو جوهر الأديان .

وحب الله تعالى هو أصل فطرة جميع المخلوقات .

فحبه سبحانه ينبع من أصل الخلق المجبول على النزوع نحو الكمال .

وإسلام جميع مخلوقات الله هو إسلام الحب ، وهو إسلام القهر !

ويستثنى من ذلك الإنسان ، حيث أنه يملك الاختيار ، فلا يكون إسلامه لله رب العالمين إلا إسلام الحب .

فجوهر إيمان الإنسان هو « الحب » فلا إيمان بغير عاطفة قلبية تنبض بالحب والشوق له سبحانه .

انظر إلى قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ...**﴾[1] .

فقد جعل سبحانه جزاء الكفر والارتداد ـ كما قال العلامة جلال الدين الرومى ـ ليس الكى بالحديد المصهور ، ولا التعـــذيب فى النار ،

(١) سورة المائدة : الآية ٥٤

ولا شرب الماء الحميم أو المهل ، وإنما جزاء الابتعاد عنه سبحانه هو أنه سوف يأتى بقوم ﴿ .. **يحبهم ويحبونه** ...﴾ .

هذا هو العقاب الذى يعادل هذا الذنب ، ذنب عدم حبه سبحانه .

ولهـذا يقـول مـايكل أنجلو : (الحب هو الجناح الذى أعطاه الله للإنسان لكى يصل إليه) .

وذلك لأن حب الله تعـالى هو نزوع نحـو الكمـال ، والكمـال هو الخير المحض ، وهو نزوع دائم ومستمر وأبدى ، لا سكون فيه ولا نهاية له .

والنقص فى أصل الطبيعة كامن فبنو الطبيعة نقصهم لا يجحد

ومن هنا جاءقول شكسبير : (لا نهاية لمحبة الله) .

وهذا ـ أيضا ـ لأنه سبحانه لا نهاية لجماله وبره ونعمه .

إن هرم الحب فى قلب المؤمن يأتى على قمته الله تعالى وحده .

وكل حب التوسط والاعتدال فيه مطلوب ، إلا حب الله تعالى ، فإنه كلما ازداد فى قلب العبد ازدادت همته ، وكلما ازدادت همته ازداد عمله وسعيه للوصول إلى الكمال الذى ينشده .

وقد ورد فى الأثر : (. . القرب الذى تعرفه مسافة ، والبعد الذى تعرفه مسافة وأنا القريب البعيد بلا مسافة) .

ويقول تعالى : ﴿ **والسابقون السابقون * أولئك المقربون** ﴾[1] .

وحب الله تعالى علامة على سلامة القلب (وهو ما يعرف بالصحة النفسية) فى وقت انتشرت فيه الأمراض النفسية وخاصة مرض «الفصام» أو « النفاق » حيث فقدت القيم والأخلاق مكانتها وحلت محلها قيم وأخلاق زائفة هى فى جملتها كذب ، كذب على الله ، وكذب على الناس ، وكذب على النفس .

---

(١) سورة الواقعة : الآيتان : ١٠ ـ ١١ .

كذب فى الكلمات . . وكذب فى المشاعر والأحاسيس !!

رضوا بالأمـــانى وابتـــلوا بحظوظهم
وخاضوا بحـــار الحب فما ابتَـــلُّوا

فهم فى السرى لم يبرحـوا من مكانهم
وما ظعنوا فى الســـير عنه وقد كلُّوا !

والأسباب التى تعيد للقلب سلامته وتحافظ عليه وتجلب حب الله تعالى والقرب منه يمكن إجمالها فى عشرة هى :

١ ـ قراءة القرآن الكريم بالتدبر والفهم باستمرار .

٢ ـ التقرب إلى الله تعالى بالنوافل بعد الفرائض وهذه فى الصلوات والزكوات وغيرها .

٣ ـ دوام ذكر الله تعالى بالقلب واللسان .

٤ ـ مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومشاهدتها ومعرفتها .

٥ ـ التفكر فى آلائه ونعمه وبره وإحسانه ، والنظر والتأمل فى بديع صنعه ، وإدراك لطفه فى الحوادث وتيسيره مع العسر .

٦ ـ إيثار ما يحبه الله على ما يحبه العبد ، وبعبارة أخرى : مجاهدة النفس .

٧ ـ انكسار القلب بالكلية بين يديه .

٨ ـ دوام الدعاء والاستغفار والتوبة ، ومراعاة آدابه وأوقات الإجابة .

٩ ـ مجالسة الصالحين المحبين الصادقين ، والتعلم منهم .

١٠ ـ مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل مثل الغفلة والمعاصى والبدع .



ولأن نفوس المحبين ليست لهم ، فقد عقدوا معه سبحانه بيعة الرضوان ، حيث يجعل لسان حال كل منهم ينطق من قلوبهم :

(إنى لا أجد شيئاً أفديك به إلا هذه الحياة التى أعرتنى إياها ، فهى منك ولك ، ومن فيضك وفضلك) .

يقول الله تعالى : ﴿ **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقّا فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم** ﴾[1] .

ذلك أن حب العبد لربه حين يتسع فى نفسه ويشتد فى قلبه يتغلب على كل ما يتعلق بشخصه من الخوف والرجاء ، حينئذ يفر من الكون إلى المكون ، ومن النعمة إلى المنعم .

ركضـــاً إلى الله بغـــير زاد   إلا التـــقى وعمـــل المعـاد

والصـبر فى الله على الجهاد   وكل زاد عرضـــة للنفـــاد

إلا التقى والبر والرشاد

وهو ما عبر عنه الصديق أبو بكر رضى الله عنه فى قوله : (من ذاق شيئاً من خالص محبة الله تعالى ألهاه ذلك عن كل ما سواه) .

حب رسول الله ﷺ :

يتمتع رسول الله ﷺ بشخصية « كاريزميه » أو « مباركة » تلك الشخصية الموحية بالثقة والحب والتقدير والاحترام والتعظيم والانقياد والسمع والطاعة .

---

(١) سورة التوبة : الآية ١١١

وهى هبة إلهية كما يدل معناها اليونانى Charisma : عطية النعمة الإلهية ، بما توفر له ﷺ من كمال خَلْقٍ وكمال خُلُقٍ بدرجة لا يحيط بوصفها البيان فقد وهبه الله جمالاً وبهاءً وروعة وجلالاً وقوة ، حتى كان يتلألأ وجهه تلؤلؤ القمر ليلة البدر .

يقول عنه الصحابى عبد الله بن رواحة رضى الله عنه :

لو لم تكن فيه آيات مبينة لكان منظره ينبيك بالخبر

ولا تقل صفاته الخُلُقية عن صفاته الخَلْقية ﷺ .

يقول الله تعالى له ﷺ : ﴿ **وانك لعلى خُلُقٍ عظيم** ﴾[1] .

وكفى بالله شاهداً .

ومن هذا التكوين الخَلْقى والخُلُقى جاء وصف الإمام على رضى الله عنه : (من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه أحبه) .

ومن الذى خالطه إلا صحابته رضوان الله عليهم !!

لقد أحبوه حباً لم يعرف له نظير .

يقول أبو سفيان : (ما رأيت أحداً من الناس يحبه أصحابه كما يحب أصحاب محمد محمداً) .

ويصف الإمام على رضى الله عنه هذا الحب بقوله : (كان رسول الله ﷺ أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ، وأحب إلينا من الماء البارد على الظمأ) .

ولكم أن تتخيلوا مقدار هذا الحب ، حيث أن هذا الكلام كان يقال على الحقيقة لا على المجاز ، ولا مجال للمبالغة ولا للمجاملة ولا

---

(١) سورة القلم : الآية ٤

للدعاية فيه مطلقاً .

وكتب السيرة زاخرة بأمثلة لا تحصى من صور هذا الحب الذى يصل إلى حد افتداؤه ﷺ بالروح فعلاً لا قولاً كما يحدث الآن !!

فى بداية الدعوة وموقف أبى بكر .

زيد بن حارثة فى الطائف .

فى غزوة أحد بعد اختلال الصفوف .

ولما توفى ﷺ كانت وفاته بمثابة صدمة عنيفة لكل المسلمين حتى كذبوا النبأ ، وصمت البعض عن الكلام فكان يذهب ويجىء ولسانه معقوداً ، وخلط البعض فى كلامهم من هول الصدمة ، وزلزلوا زلزالاً شديداً .

يصور حسان بن ثابت لحظات دفنه ﷺ فيقول :

تهيل علـيه التراب أيـد ، وأعين
عليه ، وقد غـارت بذلك أسـعد

لقد غيبوا حلماً وعلـماً ورحـمةً
عشـية عـلَّوه الثرى لا يوسـد

وراحوا بحزن ليـس فيـهم نبيـهم
وقد وهنت منـهم ظهور وأعـضد

يبكون من تبكى السـموات يومه
ومن قد بكته الأرض فالناس كمد

وبعد سنوات طويلة انقطع فيها بلال رضى الله عنه عن الأذان بعد

وفاته ﷺ سمع أهل المدينة أذان بلال ، فارتجت المدينة ، وخرجت العوانق من خدورهن وقالوا : أبعث رسول الله ﷺ ؟! فما رؤى باكياً ولا باكية بعده ﷺ أكثر من ذلك اليوم .

وقد امتد هذا الحب لأبناء الصحابة ، فكانوا يعتبرون صلتهم به ﷺ أو أحد أقاربهم بين يديه شرفاً يدعوهم للفخر .

يقول عبد الرحمن بن صفوان :

وأنا ابن صفوان الذى سبقت له
عند النبى سوابق الإسلام

ويقول بحر بن ضبع :

وجدى الذى عاطى الرسول يمينه
وخبت إليه من بعيد رواحله

ويقول العباس بن عصيم :

عصيم أبى زار النبى محمداً
وعمى سواء قل هذا التفاخر

ولما دعا داع لدين محمد
وفدنا فما كان أيمن زائر

ويقول أبو مالك الأشجعى : (قلت لابن أبى أوفى : ناولنى يدك التى بايعت بها رسول الله ﷺ فناولنيها فقبلتها) .

وامتد هذا الشعور فى القرون التالية فى الفخر على مستوى الأمم الأخرى :

يقول عروة بن أذينة :

منا الرسول فخير الناس كلهم ولا نحاشى من الأقوام إنساناً

* * *

وحب رسول الله ﷺ مقترن بحب الله عز وجل

فمحبة رسول الله نابعة من محبة الله وتابعة لها ودليل عليها .

يقول الثعالبى : (إن من أحب الله أحب رسول الله ﷺ ، ومن أحب النبى العربى أحب لغة العرب التى نزل بها أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب) .

وحب رسول الله ﷺ ينبغى أن يتقدم كل حب سواه .

يقول رسول الله ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه ووالده وولده والناس أجمعين »(١) .

ودليل محبته هى اتباعه والاقتداء به وإحياء سنته .

يقول ﷺ : « . . . ، ومن أحيا سنتى فقد أحبنى ، ومن أحبنى كان معى فى الجنة »(٢) .

فحدود محبته هى حدود الأسوة والقدوة واكتساب ضروب السلوك أما المغالاة والمبالغة والمدح والإطراء ، فقد نهى عنها جميعاً ﷺ فى قوله :

« لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله »(٣) .

وأبلغ القول فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم

أما عن آثار محبته ﷺ فقد لخصها فى قوله : « المرء مع من أحب وله ما اكتسب »(٤) .

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه الترمذى .

(٣) رواه البخارى .

(٤) رواه الترمذى .

وهو ما أكده لصفوان بن قدامة فيما رواه قال : هاجرت إلى النبى ﷺ فأتيته فقلت : (ناولنى يدك أبايعك) فناولنى يده ، فقلت : (يا رسول الله إنى أحبك) فقال النبى ﷺ : « المرء مع من أحب »[1] .

حب آل بيت رسول الله ﷺ :

كما يستتبع حب الله تعالى حب رسول الله محمد ﷺ وحب إخوانه من الأنبياء والرسل ، فإن حب رسول الله ﷺ يستتبعه حب آل بيته المطهرين .

يقول رسول الله ﷺ : « أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة ، وأحبونى بحب الله ، وأحبوا أهل بيتى بحبى »[2] .

ويقول الله تعالى : ﴿ .. **قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى** ...﴾[3] .

فالنبى ﷺ ما سأل المسلمين شيئاً إلا المودة فى قرباه ، وهو ﷺ المتفضل على كل مسلم ، وقائد الأمة إلى كل خير ، وزعيمها فى كل انتصاراتها ، ومن لا يقبل سؤال نبيه فيما هو قادر عليه فبأى وجه يلقاه غداً ويرجو شفاعته ؟!!

ومعنى « المودة فى القربى » هى الثبوت على محبة أهل بيته وقرابته ﷺ ، فإن من ثبت على محبتهم استصحب المودة فيهم على كل حال .

وأهل البيت هم أصل وفرع ونسب وصهر النبى ﷺ ، فيدخل فيهم : « آل على ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل العباس »[4] .

ويدخل فى آل البيت أزواج النبى أمهات المؤمنين ، وذرية رسول الله ، وما مد من نسل فاطمة الزهراء.

(١) متفق عليه .
(٢) رواه الترمذى .
(٣) سورة الشورى : الآية ٢٣
(٤) رواه مسلم .

والانتساب لآل البيت لا يكفى فيه الارتباط الأسرى ، وإنما يجب أن يقترن به التقوى .

يقول الله تعالى : ﴿ ..إن أكرمكم عند الله أتقاكم ...﴾[1] .

ويقول سبحانه : ﴿ .. إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾[2] .

وكل من يشبه أهل البيت فى طهرهم ينضم إليهم كسلمان الفارسى .

يصف الشاعر أيمن بن خزيم أهل البيت قائلاً :

نهـــاركم مكابدة وصوم ... وليلـــكم صلاة واقتراء

وليتـم بالقرآن وبالتزكى ... فأسرع فيكم ذاك البلاء

وأهل البيت قدوة للمسلمين فى علمهم واستقامتهم وفهمهم لكتاب الله ، وعملهم لليوم الآخر ، فهم ألصق الناس برسول الله ﷺ .

لقد كانوا أهلاً لحمل أمانة الرسالة ، ونيل القرابة من رسول الله ﷺ ، لهذا أحبهم الصحابة وعرفوا قدرهم .

يقول الصديق أبو بكر رضى الله عنه : (والذى نفسى بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلى أن أصل من قرابتى)[3] .

ولهذا أيضاً تعبدنا الله سبحانه بالصلاة والسلام عليهم فى كل صلاة :

« اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد »[4] .

(١) سورة الحجرات : الآية ١٣
(٢) سورة الأحزاب : الآية ٣٣
(٣) رواه البخارى .
(٤) متفق عليه .

من معـــــشر حبـــــهم دين وبغـــــضهم

كفر ، وقربهـــم منـــجى ومعتــــصم

مقـــدم بعـــد ذكر الله . . ذكرهـــم

فى كل حـــكم ، ومخـــتوم به الكلم

إن عُـــدَّ أهل التـــقى كانوا أئمـــتهم

أو قيل : من خير أهل الأرض ، قيل هم

وحب أهل البيت لا يقتصر على مذهب دون آخر ، لأنه أصل من أصول الإسلام ، وليس فى أصل الإسلام انقسام ولا فرقة[1] .

إن حقد أهل الدنيا وطلاب السلطان عليهم ، عرضهم لحياة مليئة بالأخطار ، فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله ، وما ضعفوا وما استكانوا ، واستشهدوا استشهاد الصادقين الأبرار .

إلى النفر البيض الذين بحبهم إلى الله فيـــما نـابنى أتقـرب

بنى هاشم رهـط النبى فإننى لهم وبهم أرضى مراراً وأغضب

وعلينا أن نحبهم دون أن نخرج بالحب إلى مزالق الغلو حتى لا يتخذ مطية لأصحاب الأهواءوالآراء الباطنية ، وإنما نحبهم حب التعلم من علمهم والتأسى بأخلاقهم ومدارسة سيرتهم ، والعمل على توحيد الأمة كما فعلوا هم .

حب صحابة رسول الله  :

يتكون الصحابة من : المهاجرين والأنصار .

أما المهاجرين فهم خميرة الإسلام الأولى وأصله الأصيل ، والنواة

---

(١) انقسام المسلمين إلى شيعة وأهل سنة هو انقسام سياسى نتيجة لفتنة كان وراءها أعداء الإسلام ، وهو انقسام سرطانى مازالت تجنى ثماره المره جموع المسلمين .

التى تكونت حولها خلية الإسلام التى لا تزال حية .

هم الذين تلقوا الوحى المنزل وسط ظلمة الجاهلية ، حملوه فى صدورهم ، عدد قليل مستضعف يخاف أن يتخطفه الناس .

هم الذين أعطوا الأجيال التى جاءت من بعدهم الأسوة الحسنة للإيمان والصبر والتضحية والثبات .

يقول الشيخ سيد قطب : « وانتصر محمد بن عبد الله يوم صنع أصحابه - رضوان الله عليهم - صوراً حية من إيمانه ، تأكل الطعام وتمشى فى الأسواق ، يوم صاغ من كل منهم قرآناً حياً يدب على الأرض ، يوم جعل من كل فرد نموذجاً مجسماً للإسلام يراه الناس فيرون الإسلام إن النصوص وحدها لا تصنع شيئاً ، وإن المصحف وحده لا يعمل حتى يكون رجلا ، وإن المبادىء وحدها لا تعيش إلا أن تكون سلوكاً »[1] .

وهكذا رباهم رسول الله ﷺ على سمو الروح ، ونقاء القلب ، ونظافة الخلق ، والتحرر من سلطان المادة ، ومقاومة الشهوات ، وقهر النفس .

وأما الأنصار فإنهم الذين انقذ الله بهم دعوة الإسلام وخرجوا بها من أحلك الظروف وأسوأ الأحوال وقت لم تكن لها شوكة ، حيث آمنوا بالله ورسوله وآووا الرسول والمهاجرين ونصروهم وهم مهددون فى أموالهم وأنفسهم ومحاربون من أقرب الناس لهم .

واستمر عطاء الأنصار ومؤازرتهم لإخوانهم المهاجرين فى انضباط

---

(١) دراسات إسلامية : فصل « انتصار محمد بن عبد الله » .

كامل وطاعة مختارة ومنافسة فى الخير عن رضا وإيمان .

يقول الشاعر الأنصارى النعمان بن العجلان :

نصرنا وآوينـــا النبى ولم نخـــف
صروف الليالى والعظيم من الأمر

وقلنا لقوم هاجروا : مرحبـا بكم
وأهلاً وسهلاً قد أمنتم من الفـقر

نقاســـمكم أموالنـــا وديـــارنـا
كقسمة أيسار الجزور على الشطر

ونكفـــيكم الأمر الذى تكرهـونه
وكنا أناســاً نذهب العـسر باليسر

هؤلاء هم الصحابة الذين قدموا للإسلام ما يفضلون به أياً ممن جاء بعدهم .

يقول رسول الله ﷺ : « خير القرون قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم »[1] .

إن عطاءهم عبر القرون مستمر .

يقول الله تعالى : ﴿ .. **ونكتب ما قدموا وآثارهم** ...﴾[2] .

أحبهم رسول الله ﷺ حباً شديداً ، وكان يغضب أشد الغضب إذا سمع أحداً ينتقص من قدرهم أو يسىء إليهم .

فحين نازع خالد بن الوليد ـ وكان حديث العهد بالإسلام ـ عبد

---

(١) متفق عليه (٢) سورة يس : الآية ١٢

الرحمن بن عوف نزاعاً ينحو به نحو التنقيص قال له النبي ﷺ : « مهلاً يا خالد !! دع عنك أصحابى ، فوالله لو كان أحد ذهباً ثم أنفقته فى سبيل الله ما أدركت غدوة رجل من أصحابى ولا روحته »(1) .

وقد أثنى الله تعالى عليهم فى مواطن كثيرة من القرآن الكريم .

يقول تعالى : ﴿ **والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم** ﴾(2) .

ويقول سبحانه : ﴿ **لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً** ﴾(3) .

إن حب صحابة رسول الله ﷺ مكمل لحب الله تعالى وحب رسول الله ﷺ ، وهو حب الأسوة والقدوة .

يقول عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : (من كان متأسياً فليتأس بأصحاب رسول الله ﷺ ، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها ديناً ، وأقلها تكلفاً ، وأقومها هديا ، وأحسنها حالاً ، اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ، وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم فى آثارهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم) .

أكرم بقوم رسول الله قائدهم
إذا تفرقت الأهواء والشيع

يرضى بهم كل من كانت سريرته
تقوى إلإله ، وبالأمر الذى شرعوا

---

(1) رواه البخارى (2) سورة التوبة : الآية 100
(3) سورة الفتح : الآية 18

حب المؤمنين:

يأتى حب المؤمنين كأثر حتمى لحب كل من ينتمى إلى الله من الرسل وآل البيت والصحابة ..

والمؤمنون أسرة واحدة أمهاتهم هم أزواج النبى ﷺ .

يقول الله تعالى : ﴿ **النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وأزواجه أمهاتهم ..** ﴾[1] .

والمؤمنون هم أولياء الله تعالى ..

يقول الله تعالى : ﴿ **واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير** ﴾[2] .

والمؤمنون هم خير البرية .

يقول الله تعالى : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية * جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه** ﴾[3] .

والمؤمنون لا يرتبطون بزمان ولا بمكان ، إنهم حزب واحد من وراء الأجيال والقرون ، ومن وراء المكان والأوطان ، ومن وراء القوميات والأجناس ، ومن وراء الأرومات والبيوت .

ولهذا لما قال رسول الله ﷺ للصحابة : « إن من عباد الله عباداً ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء لمكانتهم عند الله تعالى » .

---

(١) سورة الأحزاب : الآية ٦

(٢) سورة الحج : الآية ٧٨

(٣) سورة البينة : ٧ ـ ٨

قالوا : (من هم لعلنا نحبهم ؟) وفى رواية : (صفهم لنا لعلنا نحبهم ؟) .

قال ﷺ : « هم قوم تحابوا بنور الله من غير أرحام ولا أنساب ، وجوههم نور ، على منابر من نور ، ولا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس ، ثم قرأ : ﴿ **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولَا هُم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون * لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم** ﴾[1] .

وفى قول الصحابة رضوان الله عليهم : (صفهم لنا لعلنا نحبهم) تشوف وتشوق لمعرفتهم حتى يحبونهم ولو كانوا ممن سبقوهم من أتباع الأنبياء أو ممن جاء بعدهم من أتباع خاتم النبيين .

والحب المقصود للمؤمنين هو الحب فى الله عز وجل ، الحب الخالى من الغرض والسبب الموقوت ، الحب المقترن بالخير والصلاح ، الحب الدافع إلى طاعة الله ونصرة دينه ، ووشيجة الإيمان هى سبب الحب ، يدور الحب معها وجوداً وعدماً ، وزيادة ونقصاً .

يقول ﷺ : « ما تحاب اثنان فى الله تعالى إلا كان أفضلهما أشدهما حباً لصاحبه »[2] .

ويقول أبو هفان : (إن حب عباد الله موصول بحب الله ، وبغضهم موصول ببغضه لأنهم شهداء الله على خلقه ورقباؤه على من اعوج عن سبيله)[3] .

وحتى يدوم الحب للمؤمنين ينبغى مراعاة الآتى :

---

(١) رواه النسائى وابن حبان ، والآيات ٦٢ - ٦٤ من سورة يونس .

(٢) رواه البخارى .

(٣) العقد الفريد حـ١

* عدم الإفراط في الحب ، فإن الإفراط داعٍ إلى التقصير ، ولأن تكون الحال نامية أولى من أن تكون متناهية .

* أن يستوى الحب فى حال المشهد والمغيب ، فإن فضل المشهد على المغيب لؤم ، وفضل المغيب على المشهد كرم واستواؤهما حفاظ .

أن يضع المحب نفسه دون المؤمنين .

يقول حكيم : (من اقتضى من إخوانه ما لا يقتصونه منه فقد ظلمهم ، ومن اقتضى منهم مثل ما يقتضونه منه فقد أتعبهم ، ومن لم يقتض منهم فهو المتفضل عليهم) .

ويؤكد هذا المعنى حكيم آخر بقوله : (من جعل نفسه عند الإخوان فوق قدره أثم وأثموا ، ومن جعل نفسه فى قدره تعب وأتعبهم ، ومن جعلها دون قدره سلم وسلموا) .

الدعاء لهم فى حياتهم وبعد مماتهم بكل ما يحبون لأنفسهم وأهليهم ، ولا يفرق بين نفسه وبينهم فى الدعاء ، فإن دعاءه لهم دعاء لنفسه .

* * *

إن حب المؤمنين هو أساس كل مجتمع صالح ، ولله در القائل : (إن كل قومٍ إذا تحابوا تواصلوا وإذا تواصلوا تعاونوا ، وإذا تعاونوا عملوا، وإذا عملوا عمّروا . . فالحب أصل كل عمران) .

وإذا فقد المؤمنون الحب فقدوا هويتهم وصاروا على شفا حفرة من النار .

وإذا لم يستطع المؤمنون تحقيق الحب بينهم ، فإنهم أعجز عن تحقيقه مع الناس .

فالحب يبدأ من هنا . . من محيط المؤمنين . . ثم يفيض على الناس أجمعين .

حب الناس :

يأتي في قاعدة هرم الحب الخالص في الإسلام : حب الناس أجمعين على اختلاف أديانهم وأجناسهم وألوانهم وألسنتهم . . . من بني آدم .

وحب الله تعالى الباعث على حب من دونه من الدرجات .

فإن الله تعالى هو رب الناس وهو رب العالمين .

والحب المقصود هنا هو حب أقرب للشفقة منه للموالاة والنصرة .

فهو حُبٌّ دون مناصرة ولا ولاية ، حب يأخذ صوراً بسيطة من الإحسان والإجارة ومعاملة الناس بصرف النظر عن دينهم باللطف واللين حتى يطفىء جمرة العداوة والبغضاء منهم ويستكفى شرهم ، وقد يكسب مودة بعضهم ومحبتهم ، وقد يستديم صحبة الصديق منهم .

يقول الله تعالى : ﴿ **وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون** ﴾[1] .

ولا يلزم أن يكون هذا الحب متبادلاً - كما هو بين المؤمنين - وذلك لأن حب المؤمن للناس قائم على أساس من إيمانه وليس على هوى شخصي .

ففي الغالب لا يتلقى المؤمن مقابل حبه .

يقول الله تعالى : ﴿ **ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم**

(١) سورة التوبة : الآية ٦

الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور ﴾[١] .

فهذا الحب هو للعلاج والتطبيب أقرب منه للمودة .

يقول الله تعالى : ﴿ **وقد نزل عليكم فى الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره . . .** ﴾[٢] .

فالحذر الحذر من العدوى ..

يقول أبو قلابة : (لا تجالسوا أهل الأهواء، فإنى لا آمن أن يغمسوكم فى ضلالتهم أو يلبسوا عليكم بعض ما تعرفون) .

ورغم كل هذا فلا مفر من حب المؤمن للناس ، لأن هذا جزء من إيمانه .

يقول رسول الله ﷺ : « لن تؤمنوا حتى ترحموا » قالوا : يا رسول الله كلنا رحيم ! قال : « إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه ، ولكنها رحمة العامة »[٣] .

هذه الرحمة باعثة لرحمة الله لعبده المؤمن .

يقول ﷺ : « من لا يرحم الناس ، لا يرحمه الله »[٤] .

إن الناس هم محل دعوة المؤمنين مسؤوليتهم أمام الله كما أن الرسول مسؤول عن المسلمين .

يقول الله تعالى : ﴿ .. **هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس ...** ﴾[٥] .

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١١٩ (٢) سورة النساء : الآية ١٤٠

(٣) رواه الطبرانى . (٤) رواه البخارى . (٥) سورة الحج : الآية ٧٨

ويرجع هذا الحب للناس جميعاً لطبيعة هذا الدين العالمية ، وطبيعته المهيمنة ، فالإسلام ليس نحلة قوم ولا نظام وطن ، ولكنه منهج إله ونظام عالم .

ولا يخرج من نطاق هذا الحب للناس إلا أهل الحرب على الإسلام والمسلمين ، أعداء الله وأعداء المؤمنين ، أولياء الشيطان الذين أظهروا العداء لله وعملوا هدم أركان الإسلام .

فهؤلاء وفقاً للشرعية الإسلامية العالمية يدخلون فى زمرة حزب الشيطان الذين ينبغى على المؤمنين قتالهم .

يقول الله تعالى : ﴿ **الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً** ﴾[1] .

ويقول سبحانه : ﴿ **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين * إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون** ﴾[2] .

نستخلصُ من هذا أن الإسلام اقتلع من قلوب المؤمنين جذور الحقد الدينى على أتباع الديانات الأخرى ، وزرع مكانها إخاءً وتعايشاً يفتح أبواب التعارف عليهم والتقارب معهم والدعوة السلوكية العملية لهم .

فإذا كانوا من ذوى الرحم – وخاصة الوالدين – فلهم حسن الصحبة وحسن الصلة .

---

(١) سورة النساء : الآية ٧٦

(٢) سورة الممتحنة : الآيات ٨ – ٩

يقول الله تعالى : ﴿ **واعبدو الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى** ﴾[1] .

وإذا كان هؤلاء الناس جيراناً فلهم حق الجوار .

يقول رسول الله ﷺ : « الجيران ثلاثة : جار له حق وهو المشرك ، وجار له حقان وهو المسلم له حق الجوار وحق الإسلام ، وجار له ثلاثة حقوق مسلم له رحم فله حق الجوار والإسلام والرحم »[2] .

والجيران هم كل من يجاورون المؤمن سواء فى إقامة دائمة أو مؤقتة ، أو وجود عابر فى مكان وهو المفهوم من قوله تعالى :

﴿ .. **والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل** ... ﴾[3] .

فى سفر أو زمالة عمل أو تجارة أو حتى سؤال عابر سبيل ..

وأخيراً :

فإن حب المؤمنين لجميع الناس هو شعور تلقائى ينبثق من إيمانهم بالله رب العالمين وبرسوله محمد ﷺ المبعوث رحمة للعالمين ، يستمدون منه هذا الحب وهذه الرحمة ، لكى يسود السلام الحقيقى بين البشر ، وتتحقق سعادتهم .

يقول الشاعر :

من زيت مشكاة الحقيقة ... من فيض فيض الوحى
تعود أوطان النبوة بعد حين ... وتعود للإسلام أمته الوحيدة
وأخوة الإنسان للإنسان ... وتعيش أزهارى السعيدة

(١) ، (٣) سورة النساء : الآية ٣٦ ... (٢) رواه الطبرانى .



فهرس الموضوعات

رقم الإيداع ١٩٩٧/١١٩٣٥

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطى شبرا القاهرة
الرقم البريدى ــ ١١٢٣١